الاصطلاحان "طبيعة" و"أقنوم"

PHYSIS & HYPOSTASIS

في الكنيسة الأولى



القمص تادرس يعقوب ملطي

الاصطلاحان

"طبيعة" و"أقنوم"

PHYSIS & HYPOSTASIS

فى الكنيسة الأولى

مقدمة من

القمص تادرس يعقوب ملطى

الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

أشكر نيافة الأنبا بيشوى أسقف دمياط وكفر الشيخ ودير القديسة دميانة وسكرتير المجمع المقدس لمراجعته البحث بدقة ، وتقديمه للمجمع المقدس لدراسته قبل تقديمه للجنة الفرعية المشتركة التابعة لمجلس الحوار اللاهوتى المشترك بين الكنيسة الأرثوذكسية (الخلقيدونية) والكنائس الأرثوذكسية الشرقية غير الخلقيدونية فى ٢٣ــ٢٦ اكتوبر ١٩٨٧ .



صاحب القداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث

بابا وبطريرك الكرازة المرقسية والرئيس الأعلى للأديرة

اليوم ، بعد مرور قرون كثيرة ، بدأ الحوار بين العائلتين الأرثوذكسيتين بخصوص الاصطلاحات الخريستولوجية (الخاصة بالسيد المسيح) ، والتى سببت انشقاقاً فى الكنيسة الجامعة لمدة ١٥ قرناً . هذه الورقة قد أعدت لتقديمها للاجتماع اللاهوتى المشترك لمعاونة الكنائس المعنية على فهم بعضها البعض ، ولإعداد صيغة خاصة بالفكر الخريستولوجي يمكن أن ترضى الطرفين .

نحو الوحدة :

١ ـــ يقول الأستاذ ميندورف[1] إن الظروف السياسية قد تغيرت اليوم عما كانت عليه فى القرنين الخامس والسادس ، فالإسكندريه وأنطاكيا لم تعودا تتبعان القسطنطينية ولاروما ، ولم يعد غير الخلقيدونيين يعتبرون الخلقيدونيين كملكيين (أتباع الملك أو الإمبراطور) ينفون قادة الكنيسة الحقيقيين أصحاب الشعبية . ويمكننى أن أضيف إلى ذلك أن كنائسنا (غير الخلقيدونية) تشعر بإخلاص أنها أقرب إلى الكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية من أية كنيسة أخرى .

٢ ـــ انعقاد مجالس استشارية غير رسمية بين العائلتين أعلنت الفهم المشترك للاهوت الخريستولوجى بالرغم من اختلاف الاصطلاحات اللاهوتية المستخدمة .

٣ ـــ الدراسات الحديثة العميقة عن مدرستى الإسكندرية وأنطاكية وأفكارهما اللاهوتية كشفت عن الأسباب الحقيقية للاختلاف بين العائلتين عوض اتهام الواحدة الأخرى بالهرطقة .

ليت ربنا الذى سأل الآب : « ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فىّ » يو ١٧ : ٢١ ، يمنحنا جميعاً روح الوحدة خلال الإيمان الواحد والرجاء الواحد بروحه القدوس .

+ + +

الاصطلاحات اللاهوتية فى حياة الكنيسة :

شهد الرسل فى كرازتهم للإنجيل ليسوع أنه « المسيّا » الذى سبق فأنبأ عنه الأنبياء . لم ينشغلوا بمناقشات لاهوتية ، وإنما كانوا مهتمين بخلاص البشر . كان لاهوتهم الخريستولوجى يعتمد على الفكر الخلاصى (سوتيريولوجى) . يقول جاروسلوف بيلكان[٢] إن المسيحيين الأوائل قد اقتنعوا أن الخلاص هو من عمل كائن لايمكن أن يكون أقل من رب السماء والأرض . فإن أقدم عظة جاءتنا من الكنيسة الأولى تحمل هذه الافتتاحية : [يلزمنا أيها الإخوة أن نفكر فى يسوع المسيح أنه الله ، ديّان الأحياء والأموات . يليق بنا ألا نقلل من خلاصنا ، فإننا إذ نقلل من شأنه (السيد المسيح) إنما نتقبل ماهو قليل[٣]] .

كان هذا الاتجاه قوياً عند الإسكندريين ، حتى فى مجادلاتهم اللاهوتية . ولكنهم إذ واجهوا فلاسفة وهراطقة صاغوا اللاهوت فى اصطلاحات لاهوتية يونانية ـــ بكونها لغة الثقافة فى العالم ـــ حتى يوضحوا الإيمان المسيحى . أود هنا أن أشير إلى النقاط التالية :

١ ـــ نستخدم الاصطلاحات اللاهوتية بلغة بشرية لكى نفهم اللاهوت ونعلّمه ، لكن فى الحقيقة تعجز اللغة البشرية عن شرح الحقائق الإلهية ومعانيها العميقة . يقول القديس غريغوريوس أسقف نيصص : [إذ نتبع تعاليم الكتب المقدسة ، نتعلم أن (طبيعة الله) فوق كل الأسماء وكل لغة بشرية ...[٤]] .

٢ ـــ لسنا ننكر أهمية الاصطلاحات اللاهوتية ، إنما يلزمنا أن نقبل كلمات القديس أثناسيوس أنه يليق بنا ألا تسبب الخلافات على الألفاظ المجردة انقساماً بين من لهم الفكر المتشابه[٥] .

٣ ـــ أحيانا يساء فهم بعض الاصطلاحات مثل « هيبوستاسس » . فقد لاحظ القديس غريغوريوس النزينزى[٦] أن اللاهوتيين الغربيين تجنبوا الحديث عن « الثلاثة أقانيم (ترين هيبوستاسين) ». لقد ارتبك ديونسيوس أسقف روما بسميّه أسقف الإسكندرية لاستخدامه تعبير : « ثلاثة أقانيم » ، ظاناً أن هذا يعنى

الاعتقاد بثلاثة آلهة ، لكن الأخير أرسل توضيحاً إلى روما مؤكداً عقيدته فى الجوهر الواحد .

٤ ــ نربط أحياناً الاصطلاح بنتائج معينة ، فمتى استخدمه شخص ما نتهمه بالنتائج التى تقوم من مفاهيمنا الخاصة . نذكر على سبيل المثال : اتهم النساطرة وأشباه النساطرة القديس كيرلس أنه أبو لليناري لأنه استخدم عبارة : « طبيعة واحدة (ميا فيزيس) » بالرغم من الاختلاف التام بين منهجه اللاهوتى عن المنهج الأبوللينارى .

+ + +

اصطلاح « فيزيس (طبيعة) » فى العهد الجديد :

كلمة « فيزيس » مشتقة من « φυ, » تعنى « يكون » ، « يصير[٧] » ، « يُحدث » ، « يُنتج »[٨] وهى أصل معنى « هيئة » أو « طبيعة » . وأيضا تعنى « يتبرعم (يبدأ فى النمو) » ، « ينمو » ، أو « يتطور » ، الأولى بالنسبة للنباتات ، والثانية للحيوانات والثالثة للبشر[٩] .

يقول A.F.J. Klijin : [الكلمة اليونانية φυσις ، وإن كانت تحمل معانى مختلفة ، لكنها على الدوام تظهر ميلاً نحو تحديد جوهر شخص ما أو شيء ما] . لقد قرر أن الكلمة السريانية « كيچان » مشتقة من الفعل « Kun » (ويعنى «يكون» أو «يوجد» وهى تعادل تماماً الكلمة φυσις .

فى العهد الجديد يُستخدم هذا الاصطلاح فى معانٍ مختلفة[١١] .

١ ــ الطبيعة ، أى القوى الطبيعية أو تكوين شخص أو شيء ما ؛ تعنى حالة مكتسبة أو موروثة [« بالطبيعة أبناء الغضب » أف ٢ : ٣] .

٢ ــ مجموعة سمات لصنف معين أو شخص ما من الخليقة [كما فى يع ٣ : ٧ « لأن كل طبع (للوحوش) »] أو لله (٢ بط ١ : ٤)] .

٣ ــ أصل أو ميلاد [غلا ٢ : ١٥ ، رو ٢ : ٢٧] .

٤ ـــ القوى ، الناموس المنتظم أو تدبير الطبيعة [رو ١ : ٢٦ ؛ ١١ : ٢١ ، ٢٤ ؛ غلا ٤ : ٨] .

٥ ـــ الأحاسيس الفطرية بأصول السلوك والأخلاقيات [١ كو ١١ : ١٤ ؛ رو ٢ : ١٤] .

اصطلاح « فيزيس φυσις فى الكنيسة الأولى

لم يكن يوجد مجال لمناقشة اصطلاح « فيزيس » قبل ظهور عقيدة نسطور فى يسوع المسيح انه شخصان وأن له طبيعتين ، للتعبير عن وحدة اللاهوت والناسوت . فقد انشغل الآباء الأوائل فى تأكيد أن يسوع المسيح الذى هو ابن الله قد تجسد حقيقة ، له جسد حقيقى ، وذلك رداً على الهرطقات الغنوسية ، أو أن ذاك الذى عاش بيننا هو بالحقيقة ابن الله رداً على الأريوسية ، إذ غالباً ماأنكر الهراطقة ناسوت يسوع أو لاهوته ؛ أما نسطور فلم ينكر أحدهما وإنما فرق بينهما .

يرى كثير من الدارسين أنه قد حدث الشقاق فى الكنيسة فى القرن الخامس كنتيجة طبيعية للصراع بين اللاهوت الإسكندرى واللاهوت الأنطاكى بجانب العامل السياسى .

الآن ، أود تقديم ملخص لمفهوم « فيزيس » من واقع كتابات الكنيسة الأولى والخطوط الرئيسية للخريستولوجى الإسكندرى والأنطاكى .

قبل مناقشة هذه المشكلة أود أن أقتبس ماقدمه G.W.Bromiley بخصوص كلمة « فيزيس » فى « الكتابات المسيحية الأولى » :

[**١ ـــ الآباء الرسوليون** : جاءت كلمة « فيزيس » فى برناباس ١٠ : ٧ بمعنى « الجنس » ، بينما وردت فى أغناطيوس (رسالته إلى أهل أفسس ١ : ١) لتشير إلى طبيعة المسيحيين الحقيقية (راجع أيضاً رسالته الى التراليين ١ : ١) .

٢ ـــ المدافعون : جاءت فى دفاع يوستين ١٠ : ٧ بكونها « الطّبيعة البشرية » ، وفى دفاعه (ملحق ٧ : ٦) جاءت لتعنى القوة المميزة بين الخير

والشر واللائقة بطبيعتنا . وفى حواره (٤٥ : ٣ — ٤) يعادل يوستين بين الشريعة وماهو صالح بالطبيعة ؛ وفى دفاعه (ملحق ٢ : ٤) يقول إن الحياة المنحلة هى « ضد الطبيعة » . وجاء فى أرستيديس (دفاعه ١٣ : ٥ — ٦) أن الوثنية مضحكة بأساطيرها إذ لا يمكن أن توجد فيزيس (طبيعة) واحدة للآلهة مادامُوا فى صراع فيما بينهم .

٣ — **الكتابات الأبوكريفا** (المزورة) : استخدم بعضها « فيزيس » فى معانٍ مختلفة مثل « العالم الطبيعى » و « الطبيعة » ، « الجوهر الحقيقى » (للبشرية أو الأفراد) .

٤ — **الغنوسية** : يقسم أتباع فلانتينوس النفوس إلى نفوس صالحة ونفوس شريرة « بالطبيعة » ، الروحانيون ينتمون إلى « الطبيعة الإلهية » ؛و« طبيعة » الشيطان ليست من الحق. أيضا التعبيرات Parà, Katà phýsin تلعبُ أيضا دوراً[١٢]] .

\+ + +

١ — القديس ميليتس أسقف ساردس (تنيح حوالى عام ١٩٠ م)

يجد الخلقيدونيون فى بعض عبارات آباء الكنيسة الأولى جذوراً لعقيدتهم « فى طبيعتين » ، مثل قول القديس ميليتس : [دُفن كإنسان ، وقام من الأموات كإله ، بكونه بالطبيعة الله وإنسان[١٣]] .

ويلاحظ فى هذا النص الآتى :

ا — كلمة « فيزيس » لاتحمل معنى فلسفياً فى القرن الثانى ، إنما فى بساطة تعنى : « الحقيقى » أو « الحق » مثل كلمة « أليثوس »[١٤] . هنا يود القديس ميليتس أن يؤكد أن ناسوت المسيح حقيقة مؤكدة جنباً الى جنب مع لاهوته ، وذلك ضد المعتقد الغنوسى .

ب — لم يكن القديس ميليتس يناقش موضوع « طبيعة » المسيح بقوله : [بكونه بالطبيعة الله وإنسان] ، فإنه حتى الإسكندريين الذين يؤكدون « طبيعة

واحدة لكلمة الله المتجسد » مثل القديسين أثناسيوس وكيرلس وديسقورس الخ ... استخدموا تعبير : « الله وإنسان » ولكن عادة يؤكدون الوحدة بإضافة العبارة « هو بعينه » ، إذ لم يكن شخصين .

يتفق الخلقيدونيون وغير الخلقيدونيين فى تأكيد الوجود الديناميكى لناسوت المسيح الكامل ولاهوته الكامل ... وإنما الاختلاف هو فى تأكيد حقيقة الطبيعة الواحدة للكلمة المتجسد .

دافع القديس أثناسيوس الذى استخدم تعبير « ميا — فيزيس » (طبيعة واحدة) عن دور ناسوت المسيح فى كتابه المشهور : « تجسد الكلمة » ، وفى نفس الوقت كرس كل حياته فى الدفاع عن لاهوته ضد الأريوسيين .

يؤكد غير الخلقيدونيين أن يسوع المسيح الكلمة المتجسد هو « من طبيعتين[١٥] » ، فيرون فى المسيح الواحد لاهوتا حقا وناسوتا حقا .

٢ — أوريجانوس

أوريجانوس الذى قدم للخريستولوجى اليونانى الاصطلاحات العلمية : « فيزيس ، هيبوستاسس ، أوسيا ، هوموسيوس ، ثيؤنوثروبس) هو أول من استخدم لقب « ثيؤنثروبوس » (الله الانسان) ليؤكد ناسوتيه يسوع ضد الغنوسيين[١٦] . لقد استخدم هذا الاصطلاح الأخير (الله الانسان) وفى نفس الوقت أكّد وحدة طبيعة المسيح ، قائلاً إن لقب « المسيح» يخص لاهوته ومع هذا يمكن أن يُنسب إليه خواص بشرية والعكس بالعكس . [ابن الله ، الذى به خُلق كل شيء ، يدعى « يسوع المسيح » و « ابن الله » . يقال إن ابن الله يموت وذلك بالإشارة إلى الطبيعة التى يمكن أن تقبل الموت ؛ كما يلقّب « ابن الإنسان » حين يُعلن عنه أنه يأتى فى مجد أبيه مع الملائكة القديسين . لهذا السبب نجد خلال الكتاب المقدس كله لم يُنطق عن الطبيعة الإلهية بكلمات بشرية فحسب وإنما زيّن الطبيعة البشرية بألقاب الكرامة الإلهية[١٦]] .

يلاحظ أن أوريجانوس (وتلميذه أفيجاريوس أو أوغريس) الذى اعتقد بالوجود

السابق للنفس قبل الجسد أعلن بأنه فى المسيح سكن اللوغس فى النفس السابقة للجسد[١٧] . لكن الاسكندريين فى كل موضع يوضحون « الكلمة المتجسد » بقوة بعيداً عن فكرة « تجسد الروح »[١٨]. الأوريجانية تنادى [بأن النفس جاءت إلى العالم متجسدة كعقاب عن خطأ سبق أن ارتكبته] .

٣ ــ القديس أثناسيوس و « الميا ــ فيزيس »

يقول Sellers إن غالبية الأساقفة الذين حضروا مجمع خلقيدونيه اعتقدوا بأن الصيغة الإيمانية التقليدية للكنيسة التى سُلمت بواسطة القديس أثناسيوس هى : « طبيعة متجسدة لله الكلمة » . القديس كيرلس نفسه الذى كرس كل حياته للدفاع عن الإيمان الأرثوذكسى ضد نسطور استخدم هذه الصيغة الأثناسيوسية . وقد حاول بعض الدارسين المحدثين أن ينسبوها لأبوليناريوس صديق القديس أثناسيوس . لكننى أظن أنه يصعب جدا قبول أن القديس كيرلس فى القرن الرابع وغالبية أساقفة خلقيدونيه لم يستطيعوا أن يكتشفوا أنها ليست لأبوليناريوس. على العكس يمكننا القول بأن أبوليناريوس هو الذى اقتبسها من صديقه وأساء تفسيرها خلال منهجه اللاهوتى الذى من عندياته[٢٠] .

لماذا ترتبط صيغة « ميا ــ فيزيس » بالقديس أثناسيوس ؟

اقتبس القديس سويرس الأنطاكى فى كتابيه : « Philalethes » و « Liber Contra Impium Guammaticum » أقوالاً من آباء الكنيسة من القديس أغناطيوس الأنطاكى والقديس إيريناؤس أسقف ليون حتى القديس كيرلس الاسكندرى مؤكداً الصيغة التقليدية « ميا ــ فيزيس » ، ومعارضاً صيغة خلقيدونية : « فى طبيعتين » ، لكنه عادة تلتصق صيغة « ميا ــ فيزيس » بالقديسين أثناسيوس وكيرلس ، لماذا ؟

كثيراً ماكرر القديس كيرلس مؤكداً الصيغة « طبيعة واحدة لكلمة الله المتجسد » ، شارحاً إياها بفيض ، مؤكداً الاتحاد الأقنومي القائم بين اللاهوت والناسوت كاتحاد طبيعى، حقيقى ، ليدافع بهذا عن الإيمان ضد النسطورية. لقد اعتمد على القديس أثناسيوس الذى أكد هذا الاتحاد الحق كعنصر أساسى فى محاوراته ضد الأريوسية[٢١] .

١ — فى تفنيده للأريوسية قدم منهجاً لاهوتياً متكاملاً وحيّاً . فقد قامت الأريوسية على « العقلانية » البحتة ، أما أثناسيوس فواجهها بنظام لاهوتى لا يقوم على « العقلانية » بل على الكتاب المقدس وتقليد الكنيسة مع الحياة النسكية والفكر الخلاصى (سوتيريولوجى) . ركّز لاهوتياته فى عبارته المشهورة التى يكررها مرة ومرات : [صار إنساناً لكى نصير نحن آلهة[٢٢]] ، كما شرحها مؤكداً ثلاثة أنواع من الوحدة[٢٣] .

ا — وحدة الآب والابن : المخلص هو ابن الله الوحيد ، واحد معه فى الجوهر (أوسيا) الإلهى ، قادر على تجديد طبيعتنا لأنه هو الخالق .

ب — صار ابن الله إنساناً فى وحدة حقة دون ثنائية ، أخذ جسدنا جسداً خاصاً به وذلك بتجسده .

جـ — وهبنا التبنى للآب لا كعطية خارجية بل خلال اتحادنا مع المخلص أو سكناه فى قلوبنا .

هذه الأنواع الثلاثة من الوحدة هى فريدة حقاً ، ولكنها تختلف عن بعضها البعض . لأن الأول هو إتحاد بين أقنومين فى جوهر إلهى واحد . أما الثانى فهو إتحاد بين طبيعتين فى أقنوم واحد بلا إختلاط ولا تغيير أو إمتصاص واحدة فى الأخرى ، وإنما تكونان طبيعة واحدة بدون انفصال . والإتحاد الثالث يسميه بعض الآباء « تألهاً » ولا يقصد بالتأله شركاً فى الجوهر الإلهى ، إنما هو إتحاد للمؤمن مع الله بالنعمة الإلهية ، وهذا الإتحاد لا يساوى ذاك الخاص بالتجسد الإلهى .

كما نرى هنا ، بدأ بوحدة الآب والابن معاً ، ثم وحدة لاهوت المخلص وناسوته ، وأخيراً وحدتنا معه . واضح أن القديس أثناسيوس قد ركز على وحدة شخص المسيح ليخلّص إلى وحدتنا نحن معه .

فى تفنيده للأريوسية أكد وحدته لخلاصنا : [فإنه إذ جاء فى جسدنا ، تشبه بحالنا وإذ نحن نقبله نشترك فى خلوده[٢٤]] . مرة أخرى فى رسالته إلى أدلفيوس ضد الأريوسيين أكد وحدة الكلمة بجسدنا ليحقق خلاصنا ، قائلاً : [الذين

يفرقون الكلمة عن الجسد لايؤمنون أن خلاصاً واحداً من الخطية قد تم وأن تدميراً واحداً قد أصاب الموت (بواسطة الكلمة الذى صار جسداً[٢٥]] .

٢ ـــ لم يجد القديس أثناسيوس الذى اعتمد فى لاهوتياته على الخريستولوجى السوتيريولوجى (الحديث عن المسيح خلال عمله الخلاصى) وليس على العقلانية مشكلة بخصوص آلام السيد المسيح . فخلال العقلانية وصل الأبيونيون والدوناتست إلى نتائج متضاربة ، إذ قال الأبونيون ان المسيح تألم فهو إذن ليس الله ، أما الدوناتبست فقالوا إن المسيح هو الله لذا فآلامه ليست حقة بل مجرد خيال . أما القديس أثناسيوس ـــ فبنظرته الخلاصية (سوتيريولوجية) يرى أن آلام المسيح ليست عاراً له بل هى مجد . نحن نقبله رب المجد المصلوب . وقد جاءت « الطبيعة الواحدة » تؤكد انتساب الآلام لله المتجسد ! نسمعه يقول : [وكما قلت : إذ أن الكلمة ذاته غير قابل للموت ، أخذ جسداً قابلاً للموت ، لكى يقدمه كجسده الخاص عوضاً عن الكل ، قابلاً المعاناة لأجل الكل من خلال إتحاده بالجسد « لكى يبيد بالموت ذلك الذى له سلطان الموت أى إبليس ويعتق أولئك الذين كانوا كل حياتهم تحت العبودية خوفاً من الموت » عب ٢ : ١٤][١٥أ] .

٤ ـــ آباء للكنيسة آخرون

قبل مناقشة جذور الصراعات بخصوص « طبيعة المسيح » فى القرنين الرابع والخامس أود تقديم مختصر عن مفاهيم بعض آباء الكنيسة فى هذا الأمر :

القديس أفرام السريانى (تنيح سنه ٣٧٣) : عرّف فى تسابيحه[٢٦] صيغة « الطبيعة الواحدة » ليؤكد وحدة شخص المسيح ، كما آمن بكمال ناسوته[٢٧] .

يقول Aloys Grillmeier : [تحدث فى نفس الوقت عن « الطبيعتين » فى المسيح ، اللاهوت والناسوت[٢٨]] . هنا أود أن أشير أنه ليس فقط القديس افرآم بل كل الذين يعتقدون بالميا ـــ فيزيس فى مفهومها الأرثوذكسى يؤكدون لاهوت السيد وناسوته ، لكنهم يرفضون « فى طبيعتين » لتأكيد وحدة شخص المسيح . M.A.Orphanos فى كتابه : « الخلقة والخلاص عند القديس باسيليوس القيصرى[٢٩] » ، يقرر أن القديس باسيليوس ليس واضحاً فى أمر « طبيعتى

المسيح » ، لكن يبدو أنه أقرب إلى التقليد الأنطاكي [في طبيعتين] ، لأنه أشار الى ناسوت المسيح أو طبعته البشرية وإلى لاهوته ؛ وهذا لا يعني « في طبيعتين » ، لأن الاسكندري أيضا يؤكد ناسوت الرب ولاهوته .

القديس غريغوريوس النزينزي (٣٢٩ ــ ٣٨٩) يقدم مقارنة بين وحدة الأقانيم الثلاثة في اللاهوت الواحد (الأوسيا) ووحدة الطبيعتين في طبيعة واحدة للسيد المسيح ، إذ يقول : [إن كنت أتحدث بإيجاز أن المخلص يتكون من عنصرين متمايزين الواحد عن الآخر ، لأن غير المنظور ليس بذاته هو المنظور ، ولاغير الزمني هو بذاته الخاضع للزمن ، لكنه ليس بشخصين ، حاشا لله ! فإن الطبيعتين صارتا واحدة بالتحامهما ، اللاهوت صار إنساناً والإنسان تأله أو حسبما يعبر الإنسان عن هذا الأمر . أقول إنهما عنصران مختلفان ، لأن الأمر مختلف عن حالة الثالوث ، إذ نحن نعرف ثلاثة أقانيم مختلفة هكذا فلا نخلط بين الثلاثة هيبوستاسيس ، لكنهم ليسوا ثلاثة عناصر ، لأن الثلاثة هم واحد بعينه في اللاهوت[٣٠]] .

هيسخيوس أسقف أورشليم (تنيح بعد سنه ٤٥١ م) : تبع القديس كيرلس الاسكندري دون تبنيه ذات مفرداته اللاهوتية الفنية . صيغته الخريستولوجية المختصرة هي « اللوغوس المتجسد[٣١] » .

مرقس الناسك : (كواستن : علم الباترولوجي ، مجلد ٣ ، ص ٥٠٣) يرى فوتس أن مرقس الناسك (المتنيح بعد ٤٣٠ م) قد ارتكب خطأ ليس ببسيط لأنه تحدث عن الطبيعة الواحدة (من طبيعتين) بينما يؤكد كثير من الدارسين انه لم ينحرف قط نحو خطأ (هرطقة ما) .

الأفكار الخريستولوجية الإسكندرانية والأنطاكية

ينسب كثير من الدارسين مشكلة صيغة الإيمان الخريستولوجي الخاصة بطبيعة السيد المسيح الى الصراع بين اللاهوت الإسكندري والأنطاكي . فبينما تبنت مدرسة الإسكندرية « الاتحاد الأقنومي » أو « الاتحاد الطبيعي » للاهوت والناسوت لتأكيد وحدة يسوع المسيح ، قبلت مدرسة أنطاكية « نظرية الحلول » ، أي أن اللاهوت سكن في الناسوت ، كما لو كان يسوع المسيح هو شخصين في واحد ، وذلك لتأكيد عدم الاختلاط بين اللاهوت والناسوت ،

وعدم انتساب الضعف البشرى للاهوته . نقطة البداية بالنسبة لمدرسة إسكندرية هى : « الكلمة صار جسداً » يو ١ : ١٤ ، بينما بالنسبة لأنطاكية : « فيه حل ملء اللاهوت جسدياً » كو ٢ : ٩ .

قبل مناقشة الاختلاف بين المدرستين أود توضيح الملاحظات التالية :

١ ـــ عادة يتحدث الدارسون عن الصراع بين المدرستين متجاهلين أنهما متفقتان فى نقاط كثيرة ؛ فلكل مدرسة خصائصها لكنها غير معتزلة عن الأخرى .

٢ ـــ لم تقم المشكلة بسبب المدرستين وإنما بسبب من أساء استخدام مفاهيمهما، مثل أبوليناريوس وأوطيخا، وديؤدور ونسطور وثيؤدور أسقف الميصة وهيبا أسقف الرها . هذا ويلاحظ أن أبوليناريوس أسقف اللاذيقية وأوطيخا القسطنطينى اللذين قبلا الصيغة الإسكندرانية لم يكونا إسكندريين ولاسلكا بمنهج الإسكندرية اللاهوتى .

٣ ـــ لعبت سياسة الإمبراطورية والسياسات الكنسية دوراً فى هذا الصراع لتخلق هوة عظيمة بين قيادات المدرستين انتهت بهذا الشقاق الخطير الذى أصاب الكنيسة منذ القرن الخامس .

« الاتحاد الأقنومى » الاسكندرى

أوضح القديس كيرلس فى صراعه ضد نسطور « الاتحاد الأقنومى » بكونه « اتحاداً شخصياً » ، « اتحاداً طبيعياً » ، « وحدة حقة » اتحد ابن الله بطبيعتنا ، وجعلها خاصة به ، فتحقق فيه اتحاد حق بين اللاهوت والناسوت . بمعنى آخر ، لاتتجاهل هذه النظرية اختلاف الطبيعتين إنما ركزت على وحدة المسيح بإعلان طبيعته المتجسدة من طبيعتين دون اختلاط أو انفصال . إنها تصون على الأقل فكرتين(٣٢) :

١ ـــ أن اللوغوس ـــ الأقنوم الأزلى ـــ قد اتحد بناسوت لم يكن له وجود قبل التجسد ولا هو بمنفصل عن اللاهوت . لقد صار شخصاً متقبلاً أقنوميته خلال اتحاده باللوغوس . فالناسوت ليس أقنوماً مستقلاً يقابل اللوغوس ، إنما هو أقنوم فى الاتحاد .

٢ — اتحاد الطبيعتين أمر داخلى حق ، لأن « الهيبوستاسس » هو « الجوهر » كله فى وجود محدد ، أما « البروسوبون » فيعنى الجانب الخارجى للشىء أو الشخص ، لذلك فان الهيبوستاسس من فئة معينة يتميز عن هيبوستاسس آخر من ذات الفئة .

جحد القديس كيرلس النظرية الأنطاكية الخاصة بالحلول ، أى أن لاهوت المسيح سكن فى ناسوته ، أو نظرية « الارتباط » أو « الشركة القوية » بكونها نظريات غير كافية عن إعلان الاتحاد الحقيقى وإنما تسمح بتفريق طبيعتى المسيح كما علّم نسطور .

أوضح القديس كيرلس النظرية الإسكندرانية فى الكلمات التالية :
[إننا لانقول بأن طبيعة الكلمة يصيبها تغير فتصير جسداً ، أو أنها تتحول إلى إنسان كامل يتكون من نفس وجسد ؛ إنما نقول إن الكلمة قد اتحد بجسد له نفس بطريقة شخصية (أقنومية) لاتوصف ولايمكن إدراكها ، فصار إنساناً ، ودعى « ابن الإنسان » ، ليس كعطية لإرادة (صالحة) ؛ كما لم يتخذ لنفسه شخصاً (أى أن شخصه اللاهوتى لم يتخذ شخصاً بشرياً) . وبينما هاتان الطبيعتان مختلفتان لكنهما فى دخولهما إلى اتحاد حق صار منهما المسيح الواحد والابن الواحد ، دون أن يزول اختلاف الطبيعتين ، بل بالحرى اللاهوت مع الناسوت كمّلا لنا الرب الواحد ، المسيح الواحد ، الابن الواحد باتفاق ووحدة لاينطق بهما[٣٣]] .

[عندما صار إنساناً إذ أخذ جسداً ودماً بقى فى طبيعته كما هو الله بالحق . فنحن لانقول بأن الجسد قد تحول الى الطبيعة الإلهية ، وبالتأكيد أيضا طبيعة الله الكلمة الفائقة الوصف لم تنحط ولاتحولت الى طبيعة الجسد لأنها غير قابلة للتغير أو التحول بل تبقى كما هى حسب ماورد فى الكتاب المقدس[٣٤]] .

[إن كان أحد يفرق المسيح الواحد إلى كيانين (هيبوستاسيس) بعد الاتحاد ، رابطاً إياهما بمجرد رباط الكرامة أو السلطة أو التدبير وليس كاتحاد للطبائع ، فليكن أناثيما[٣٥]] .

[إن كان أحد يفرّقه إلى شخصين أو كيانين (هيبوستاسيس) ، فينسب بعضاً مما ورد فى الأناجيل والرسائل ، أو ماذكره القديسون عن المسيح ، أو ما قاله المسيح نفسه عن نفسه ، إلى الإنسان ليُفهم كأنه منفصل عن كلمة الله ، وينسب ما يليق بالله إلى كلمة الله الآب بطريقة مطلقة ، فليكن أناثيما ... إنما يلزم أن تُنسب كل التعبيرات المستخدمة فى الأناجيل إلى الطبيعة الواحدة المتجسدة للكلمة[٣٦]] .

« ميا ــ فيزيس » (الطبيعة الواحدة) الاسكندرانية

كما قلت إن Sellers قرر بأن غالبية الأساقفة الذين حضروا مجمع خلقيدونية اعتقدوا بأن صيغة الإيمان الكنسية التقليدية التى سُلمت بواسطة القديس أثناسيوس هى : « طبيعة واحدة متجسدة لكلمة الله » وبالتأكيد لم يأتِ هذا الاعتقاد من فراغ ، إنما هى صيغة الكنيسة التى حاول النساطرة تشويهها بتفسيرها بطريقة أبوللينارية وأوطاخية . إلى اليوم يخلط بعض الدارسين بين هذه الصيغة فى مفهومها الأرثوذكسى واستخدامها بطريقة أبوللينارية وأوطاخية بطريقة خاطئة بعيدة تماماً عن المنهج اللاهوتى الإسكندرى .

ماذا نعنى بالميا ــ فيزيس أو « الطبيعة الواحدة المتجسدة » ؟

سأقتبس هنا بعض عبارات للقادة غير الخلقيدونيين ، خاصة من رجال القرنين الخامس والسادس لكى أقدم تفسيراً واضحاً ودقيقاً للميا فيزيس .

١ ــ نقصد بـ « ميا » واحداً ، لكن ليس « واحداً منفرداً » ، ولا « واحداً بسيطاً » كما ظن بعض الدارسين[٣٨] . لقد أعلن القديس ديسقورس فى مجمع خلقيدونية انه قبل الطبيعة الواحدة « من طبيعتين » . فإننا لسنا فقط نؤمن بحضرة اللاهوت الكامل والناسوت الكامل فى المسيح بل نؤمن بحضور حركى دون اختلاط أو انفصال .

إننا لسنا « مونوفيزيت » كما يلقبنا الخلقيدونيين حديثاً ، فإن هذا اللقب غير الدقيق يجعلنا قريبين من الأوطاخية التى ننكرها[٣٩] .

اقتبس القديس سويرس العبارات الكيرلسية التى توضح الميافيزيس إنها ليست « طبيعة منفردة » بل « واحدة مؤتلفة » ، مقدماً الإنسان كمثل لذلك . يقول : [لا تستخدم كلمة « واحد » لتشير إلى من هم بسطاء بالطبيعة وإنما تعنى أيضا من هم مؤتلفون (مركب) فى كيانهم ؛ حيث يمثل الإنسان مثلاً حسناً لذلك (مؤتلف من نفس وجسد)[٤٠]] .

يقول القديس ساويرس : [تُفهم الطبيعتان والهيبوستاسيس التى يتكون منها (المسيح) أنها لا تنقص ولا تتغير فى الاتحاد . لكن لا يمكن فهم وجود برسوبون (شخص) لكل واحد منها ، لأنها لم تأت إلى الوجود منفصلة بطريقة جامدة أو فى ثنائية ، إنه أقنوم واحد من الاثنين ، بروسبون واحد ملتحم ، طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد[٤١]] .

٢ ــ أصرّ القديس كيرلس على « الطبيعة الواحدة » للمسيح لتأكيد وحدته . قَبِل الطبيعة الإنسانية ليس ككائن آخر التصق به ، وإنما بكونها خاصة به . يقرر ميندروف [لقد أكد (كيرلس) أن العلاقة بين اللاهوت والناسوت فى المسيح ليست مجرد تعاون أو حتى تداخل (لطبيعة فى أخرى) بل هى « اتحاد » ،فالكلمة المتجسد واحد ، ولايمكن أن يحدث أى ازدواج فى شخصية المخلص الواحد الله والإنسان (الإله المتجسد)[٤٢]] .

استخدم القديس كيرلس : « طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد » كأداة لحماية إيمان الكنيسة من النسطورية .

٣ ــ ظن النساطرة أن طبيعة المسيح « الواحدة » تعنى أحد احتمالين لاغير : أن طبيعةً ما (الناسوت) قد أُبتلعت أو أن خلطاً ما قد حدث بين الطبيعتين الإلهية والإنسانية لتنتج طبيعة واحدة مختلطة . لم يستطيعوا أن يقبلوا أن « الواحد » فى « اللوغوس المتجسد » يعنى اتحاداً حقاً دون ابتلاع للناسوت أو اختلاط . وقد أوضح القديس كيرلس هذه الوحدة ببعض الأمثلة . فقد خُلقنا نحن من نفس وجسد وهما طبيعتان منفصلتان قبل الاتحاد ، وباتحادهما صارا إنسانا

له طبيعة بشرية واحدة . النفس والجسد صاراً معاً طبيعة واحدة ، إنساناً واحداً ، دون اختلاط أو ابتلاع(٤٣) .

يكرر القديس كيرلس مؤكداً أن الطبيعة الواحدة المتجسدة لاتعنى اختلاطاً للطبائع بل تعنى انتساب كل كلمات يسوع المسيح وأفعاله إلى الله المتجسد الواحد ، وتمثل « عملية واحدة » بغير اختلاط .

على سبيل المثال أصر القديس كيرلس أن معجزات المسيح مثل إقامة ابنة يايرس من الأموات أو إقامة ابن الأرملة بنايين قد تمت بعمل اللاهوت والناسوت معاً ؛ فقد لمست يد المسيح الشخص لتقيم الدليل على أن « عملية واحدة » قام بها اللوغوس والجسد . فلو أن المسيح قد تمم معجزاته بسبب حلول اللوغوس الإلهى فيه لكان فى هذا لايختلف عن الأنبياء الذين فعلوا ذات الأمر . لهذا يجدر بنا القول إن « مصدر الحياة جاع ، وإن كلى القدرة تعب(٤٤) » .

يقول بليكان : [بالنظر إلى حياة يسوع ، وإلى تجربته وجوعه ، وإلى آلامه وموته ، يصرّ كيرلس بأن هذه جميعها تُنسب للوغوس المتجسد الواحد ، الذى استخدم جسده كآداة لإتمام معجزاته واحتماله الآلام . تُنسب الصلوات والطلبات التى قدمها المسيح فى تجاربه بصراخ عظيم ودموع إلى « الابن الحق بالطبيعة الذى له مجد اللاهوت » ، الذى وضع نفسه ليخلص المجربين . الصوت الذى جاء من السحابة (فى التجلى) خصّ اللوغوس المتجسد الواحد ، اللاهوت والناسوت ، بالقول « ابنى الحبيب » . هكذا فى كل المواقف الظاهرة فى حياة يسوع ، وُجدت النظرية اللاهوتية للاتحاد الأقنومى كتجسيد لإصرارها على أن موضوعها هو الرب يسوع المسيح الواحد(٤٥)] .

+ لم يتخل الجسد عن طبيعته كجسد مع أنه صار جسد الله .

القديس سويرس الأنطاكى(٤٦)

+ نؤمن أن الكلمة صار جسداً . الكلمة لم يتغير إلى جسد ، ولاتغير الجسد إلى الكلمة .

فيلوكسينوس أسقف Mabbogh(٤٧)

+ بقى الجسد جسداً حتى بعدما ناله من قيامة وصعود لائقين بالله ، فهو أشرق بالمجد الذى يليق بمن له هذا الجسد ، فهو إلهى إذ هو جسد الله لكنه لم يتغير الى جوهر اللاهوت .

القديس سويرس الأنطاكى (٤٨)

٤ ــ يسوع المسيح هو واحد مع الله الآب فى الجوهر وفى نفس الوقت واحد معنا نحن البشر :

+ أعرف تماما أنه وُلد من الآب بكونه الله ، وفى نفس الوقت وُلد من مريم كإنسان .

القديس ديسقورس (٤٩)

+ الواحد مع الآب فى الجوهر ، هو بعينه صار واحداً معنا خلال التجسد .

فيلوكسينوس (٥٠)

+ صار ابن الله الوحيد واحداً معنا باتحاده أقنومياً بجسد واحد له نفس عاقلة . بسبب هذا صار كل جوهر (أوسيا) البشرية وكل الجنس البشرى متحداً بالحب مع الطبيعة الإلهية التى سبق أن تغرّب عنها . لذلك ، كما هو مكتوب ، إننا إذ خُلقنا مؤهلين للاتفاق كصورة للأصل (الإلهى) صرنا شركاء الطبيعة الالهية . بالشركة نتقبل النعم الإلهية والخلود التى خسرناها بسبب معصية آدم .

القديس سويرس الأنطاكى (٥١)

٥ ــ هو الله وإنسان فى نفس الوقت (الإله المتجسد) .

إستخدم بعض آباء الإسكندرية تعبير « إله وإنسان » مع تأكيد مستمر على وحدة الأقنوم والطبيعة . ولذلك كثيراً ما يضيفون عبارة « فى نفس الوقت » أو « الطبيعة الواحدة المتجسدة » .

+ راه الناس ماشياً على الأرض ، ورأوه خالق القوات السمائية بكونه الله ...

القديس ديسقورس (٥٢)

+ إذ يمشى على الأرض ويتحرك من موضع إلى آخر فهو بالحق بشرى . أما أنه يعين العرج العاجزين عن استخدام أقدامهم لكى يمشوا ... فهذا أمر لائق

بالله . على أى الأحوال هو الله الكلمة المتجسد الذى يعمل (كواحد) فى الأمور كلها (اللائقة بالناسوت واللاهوت) .

القديس سويرس الأنطاكى(٥٣)

٦ ـــ يقرر القديس سويرس أنه فى التجسد « لم تتغير الطبيعة الإلهية عما كانت عليه » ، إنما بقى اللاهوت كما كان عليه ، حيث صار الكلمة جسداً ؛ هو بعينه الله الكامل والإنسان الكامل . الكلمة غير المنظـور صار منظوراً ، فما كان عليه وماقد صار إليه ليسا اثنين لأنه هو واحد(٥٤) .

+ الله الكلمة الذى بلا بداية ، السرمدى ، وُلد من الآب بدون ألم ولاجسد ، قد صار متجسداً ...

القديس ساويرس(٥٥)

٧ ـــ صار إنسانا حقاً

أخذ كلمة الله ناسوتاً حقيقياً يحوى كل ماهو بشرى بمعنى الكلمة ، باستثناء واحد هو الخطية . لذلك فقد حُبل به ووُلد كرضيع ونما كطفل ، خضع لكل نواميس الطبيعة واحتمل الألم . سُخر به ، وأهين ، وتألم ، ومات ثم قام(٥٦) .

يؤكد القديس سويرس أن الحبل به تم من عذراء دون رجل ، وهو حبل حقيقى ، ونمّو حقيقى للجنين فى رحم الأم . وقد كتب رسالة إلى أنطونينو أسقف حلب يؤكد فيها أن « العذراء » قد أحست بشعور الولادة ، وأن « الميلاد لم يكن خيالاً » .

+ ذاك الذى أراد أن يأتى بالحق فى كل شيء فانطبق عليه كل مالنا ماعدا الخطية ، مقدماً نفسه كواحد منا نحن إخوته ، بالتأكيد وُلد بالجسد ميلاداً واضحاً وحقيقياً ، سامحا لمن حملته أن تشعر (بحقيقة الميلاد) وإن كانت قد تحررت من كل آلام (الولادة) .

القديس سويرس الأنطاكى

يؤكد القديس سويرس أنه كان للناسوت إدراكه الذاتى وحرية إرادته دون انتقاص ، لكنه إذ كان متحداً باللاهوت دون انفصال ، اتحاداً واقعياً ، فإن هذه الخواص لم

يُساء استخدامها قط لتعصى الله[٥٧] .

+ لو لم يصر إنساناً ليبدأ (الحياة البشرية) لما وُجدت إمكانية ليموت ، لأن الله روح ولايخضع للموت .[٥٨]

فيلوكسينوس

[يليق بنا هنا أن نذكر بأن الموت — فى نظر فيلوكسينوس — هو غاية التجسد ، فلو أن الناسوت غير حقيقى ولاحركى ، لما حقق يسوع المسيح رسالة حياته الزمنية . مثل هذا القول لن ينبع عن « مونوفزيتيزم » (أى عن القول بطبيعة واحدة منفردة)[٥٩]] .

+ تألم بالحقيقة من أجلنا بالجسد . مثلنا تعب فى رحلاته ولم يكن هذا توهّماً . مثلنا نام . شعر بآلام الجراحات التى أصيب بها بواسطة بيلاطس ... أيضا نعترف بأن له نفساً عاقلة احتملت آلاما مثلنا ولأجلنا . احتمل أيضا حقيقة آلام النفس ، أى الحزن والتنهد .[٦٠]

تيموثاوس بابا الاسكندرية

٨ — ناسوت المسيح كامل

+ كُتب أن الكلمة صار جسداً ، وهذا يعنى أنه صار إنساناً كاملاً .

فيلوكسينوس[٦١]

+ ... لسنا نقول إن الله الكلمة تحول إلى إنسان ، يتكون من جسد ونفس ، بل على العكس نقول ، مع بقائه كما كان عليه اتحد أقنومياً بجسد له نفس عاقلة .

سويرس الأنطاكى[٦٢]

+ خلص الإنسان بكامله فى الله . لقد خضع آدم بكليته تحت اللعنة وفسد ، لذلك أخذ الله الناسوتَ بكامله وجدده . الرب الذى تجسد سلم جسده للموت من أجل كل جسد ، وسلّم نفسه لخلاص كل النفوس . بهذا تجددت كل طبيعتنا فيه إلى الإنسان الجديد .

فيلوكسينوس[٦٣]

واضح إنه خلال التجسد صار كلمة الله إنسانا حقيقياً كاملاً ، صار إنساناً فرداً ، فيه صار كل البشر ممثلين كأفراد ، وفيه أيضا اجتمع كل الجنس البشرى ككل .

٩ ـــ لم يتشكل الناسوت قبل التجسد

إذ كان القديس سويرس يُفنّد صيغة « طبيعتين بعد الاتحاد » ، كرر محاوراته مع القائلين بأن الجنين البشرى قد تكوّن فى الرحم أولاً وبعد ذلك اتخذه الله الكلمة . قد اقتبس من ديؤدور الطرسوسى العبارة التالية : [كان جسد مريم قبل أن يأخذه (اللوغوس) من الأرض لايختلف بأية طريقة عن أى جسد . إنه مثل لاوى الذى كان ينال العشور وهو بعد فى الرحم ويتمتع بالكرامة عند ولادته ، هكذا كان الرب أيضا فى رحم العذراء من جوهرها ليس له كرامة البنوّة (الإلهية) لكنه إذ تشكل وصار هيكلاً لله الكلمة وقبل الابن الوحيد نال كرامة الاسم وبالتالى تمتع بمجده(٦٤)] . يقول سويرس إن كيرلس قد ردّ عليه بالكلمات التالية : [إنك تنطق بكلمات غير سليمة ، سيئة للغاية . فقد جاء الجسد المقدس بالحق من مريم لكنه منذ بداية تكوينه ، أى منذ وجوده فى الرحم كان مقدساً بكونه جسد المسيح ، لم تكن هناك لحظة واحدة كان فيها الجسد غير خاص به . وكما قلتَ إن جسده مثل أى جسد آخر(٦٥)].

+ « طبيعتان بعد الاتحاد » تعنى بالنسبة لمن يتمسك بهما أن الإنسان (يسوع) قد تشكل بنفسه فى الرحم أولاً وبعد ذلك سكنه الكلمة . هذه السكنى يصفونها « اتحاداً » . بهذا يشيرون إلى طبيعتين لعمانوئيل ، مستخدمين الصيغة : « طبيعتان بعد الاتحاد » .

سويرس الأنطاكى(٦٦)

التمسك بالطبيعة الواحدة يحفظنا من الاعتقاد بأن ناسوت المسيح قد تشكل فى الرحم قبل التجسد وبعد ذلك تقبل اللاهوت ساكناً فيه . لهذا السبب أصر فيلوكسينوس على رفض « الطبيعتين » . هذا لايعنى رفضه لناسوت ربنا(٦٧) .

يقول البابا تيموثاوس الاسكندرى إن الناسوت لايوجد بذاته منفصلاً عن اللاهوت : [إن كان ذاك الذى ولد من العذراء يُدعى يسوع ، فإنه هو بنفسه

الذى به كان كل شىء . واحدة هى الطبيعة ، لأنه هو شخص واحد لايمكن تفريقه إلى اثنين ، لأنه فى التجسد لم توجد طبيعة الجسد بذاتها ولا طبيعة اللاهوت مفترقة عنها[٦٨]].

١٠ ــ يؤكد القديس سويرس أن ناسوت المسيح له كل محدوديات ناسوتنا مع استثناء واحد وهو أنه كان بلا خطية . لذلك أمكن له أن يخضع لسمات الوجود المحدود : الجوع ، العطش ، التعب الجسدى ، رفض الناس له ، تسليمه للسلطات السياسية فى أيامه كمجرم ، احتمال العذابات والآلام والموت ، كل هذه التجارب كانت واقعاً وليس خيالاً . كانت حقيقة هذه التجارب أمرا لا غنى عنه لإتمام الخلاص الذى جاء السيد من أجله[٦٩] .

ملاحظات على « الطبيعة الواحدة » الاسكندرانية

١ ــ إذ ينتقد بعض الدارسين صيغة « ميا فيزيس » يقولون إن الأساس الأصيل للمنهج اللاهوتى الاسكندرى كان أساساً **نسكياً** . فقد مارس قادة الكنيسة المصرية التداريب النسكية القاسية ، جاحدين جسدهم بهدف التأله . صُلْب اللاهوتيات الاسكندرانية يمكن إعلانه خلال عبارة القديس أثناسيوس وهى أن كلمة الله صار إنساناً لكى نصير نحن آلهة . لقد جحد اللاهوتيون الاسكندريون حياتهم الواقعة على الأرض ليختبروا الحياة الإلهية . بمعنى آخر ، لقد أزالوا الحدود الفاصلة بين الله والإنسان ، مركّزين على ماهو إلهى حتى فى حياتهم اليومية . كان لهذا الاتجاه أثره على اللاهوت فى الآتى :

ا ــ تبنى الاسكندريون « الطبيعة الواحدة » و « الاتحاد الأقنومى » بين لاهوت المسيح وناسوته لكى ينسبوا كل أعمال المسيح وكلماته للاهوته ، متجاهلين ماهو بشرى فيه .

ب ــ قبلوا المسيح بكونه « الله ــ الجسد » وليس « الله الإنسان » ، متجاهلين دور نفس يسوع المسيح البشرية .

الآن أود أن أقدم رداً توضيحياً لهذه الملاحظة :

ا ــ حقا كان اللاهوتيون الإسكندريون والكهنة نساكاً ؛ ولايزال للنسك أثره

الفعّال على لاهوتياتنا ، لاباستخفافنا بأجسادنا ولا بإنكار ناسوت ربنا ، بل بالإصرار على الاتجاه الخلاصى (سوتيريولوجى) . كان النساك الأقباط الأوائل منشغلين لا بالمناقشات النظرية وإنما بالتمتع بأعمال الثالوث القدوس الخلاصية ، أى التمتع بتقديس النفوس والأذهان والأجساد والمواهب الخ ... خلال الشركة مع الآب فى ابنه بالروح القدس . بالحقيقة كان اللاهوت الاسكندرى سوتيريولوجياً ، كما يظهر من كتابات القديس أثناسيوس فى دفاعه ضد الأريوسيين .

يقول Sellers : [تعليم أثناسيوس وممثلى مدرسة اسكندرية الآخرين يأتى أمامنا كمثلٍ رائع فى اعتماد الخريستولوجى على الفكر السوتيريولوجى . وبالتبعية ، إن أردنا تقدير تعليمهم عن شخص يسوع المسيح يلزمنا أولا أن نضع فى اعتبارنا تعليمهم عن عمله كمخلص[٧٠]] .

ب ــ لم يكن النسك هو الأساس الوحيد للاهوتياتنا ، وإنما كان مجرد عامل واحد لا ينفصل عن بقية العوامل ، مثل دراسة الكتاب المقدس والفلسفة ، وممارسة العبادة التقليدية ، الكرازة الخ ... كل هذه العوامل تمثل حياة واحدة متكاملة فى المسيح .

جـ ــ كان النسك المصرى الأول إنجيليا ، لا يقوم على بغضة الجسد بحواسه وطاقاته ، ولا رفض الارادة الحرة للإنسان ، ولا الاستهانة بالحياة الأرضية بكل مستلزماتها . نسمع القديس جيروم يقرر أن العمل اليدوى إلزامى فى الأديرة المصرية لا من أجل كفاية هذه المؤسسات وإنما لأجل تحقيق النمو الروحى[٧١] . أيضا كتب القديس اكليمنضس الإسكندرى كتاباً وجّهه إلى أغنياء الإسكندرية يعلن فيه أن الغِنى ليس شراً فى ذاته .

واضح أن الكتابات النسكية الأولى قد سجلت لنا ماهو فائق للطبيعة ، الأمر الذى قد يُفهم منه كما لو كان النساك القدامى يحتقرون أجسادهم ...

هذا وجدير بالملاحظة أنه حتى المتوحدين كانوا يعتبرون الممارسات النسكية المتطرفة كأمر شرير على نفس المستوى مثل الترف ...

د ـــ بخصوص التأله كأساس رئيسى للاهوتياتنا ، أفسَحَ الطريق « لطبيعة المسيح الواحدة اللاهوتية » كما يقول روان جرير وغيره[٧٢] ، أود أن أوضح أننا لانؤمن بطبيعة واحدة لاهوتية للسيد المسيح وإنما بطبيعة واحدة متحدة من طبيعتين . هذا وأن التأله بحسب اللاهوت الإسكندرى يعنى عودة الإنسان بكليته إلى أصله كصورة الله ، بالشركة فى الطبيعة الإلهية . التأله ليس تصحيحاً لنفس الإنسان فحسب وإنما لكل الطبيعة الإنسانية ، أى إصلاح نفسه وذهنه وجسده وإرادته الخ ...

كمثال جاء فى كتابات مقاريوس الكبير : [لو كانت الطبيعة البشرية بقيت منفردة فى عريها ولم تنتفع بالاختلاط (أى بالمعاشرة) والشركة مع الطبيعة السماوية الفائقة ، ماكانت قد آلت إلى شيء صالح[٧٣]] .

لايعنى التأله تحطيم الحرية الإنسانية من أجل التمتع بإرادة الله كما ظن جرير ، إنما على العكس يعنى تقديس الحرية الإنسانية . وكما كتب القديس كيرلس : [لقد تقبّل الإنسان فى خلقته القدرة على ضبط غرائزه ، فكان بحرية يستطيع أن يحقق مايريده ، لأن الله ـــ الذى هو صورته ـــ حر[٧٤]] .

بمعنى آخر ، يمكننا أن نلخص اللاهوت الإسكندرى فى العبارة التالية : [إننا فى حاجة الى الشركة مع الله لكى تشفى طبيعتنا البشرية كلها من مرض الفساد ، وتعود إلى حالتها الأولى كصورة الله . حقق كلمة الله هذا الخلاص بأخذه طبيعتنا] . لقد كتب القديس كيرلس الإسكندرى :

[خُلق آدم فى عدم فساد ينعم بالحياة فى الفردوس ، فكانت حياته مقدسة ، وكان عقله سليماً ، دائم الانشغال بالتأمل فى الله ، وكان جسده فى أمان وهدوء ...

كما أنه فى آدم أصيبت طبيعة الإنسان بمرض الفساد خلال العصيان ، لأنه بالعصيان دخلت الشهوات إلى طبيعة الإنسان ، هكذا بنفس الطريقة فى المسيح تحقق شفاؤها ، إذ صارت مطيعة لله والآب ، لاترتكب خطية (١ بط ٢ : ٢٢ ؛ أش ٣٣ : ٩)[٧٥]] .

٢ ـــ أضاف الدارسون عاملاً آخر له أثره على الإسكندرانيين وهو التصاقهم الشديد باليونانيين المثقفين[٧٦] ، على عكس الأنطاكيين الذين كانوا ملتصقين جداً بحركة التهود[٧٧] . اختلاف الظروف هذا كان له أثره ليس فقط على طريقة تفسير الكتاب المقدس ، إذ تبنى الإسكندريون التفسير الرمزى بينما تبنى الأنطاكيون التفسير الحرفى ، إنما كان له أثره أيضا على أفكارهم الخريستولوجية . فبينما اهتم الأنطاكيون بالتعبيرات الأخلاقية وبتأكيد « الطبيعة البشرية » وتمييزها عن اللاهوت بطريقة قاطعة ، استخدم الإسكندريون التعبيرات الخاصة بالوجود ontological ليقتنوا جيرانهم (اليونان) لملكوت الله . فإن كان الفلاسفة قد سعوا للتمتع « بحياة الآلهة وشبه الآلهة والطوباويين » خلال الغنوسية (المعرفة) والتأمل فى اللاهوت ، أعلن الإسكندريون أن هذا يمكن تحقيقه لابمجهود الإنسان الذاتى بل بتنازل الله نفسه ، هذا الذى فى محبته أخذ الشكل البشرى ليجدد طبيعتنا ، إذ يريد أن يقدم الخلاص للعالم[٧٨] .

٣ ـــ لم يقبل الأنطاكيون تعبير القديس كيرلس : « الله مات » على الصليب . هذا بالنسبة لهم لايعنى اتحاد الطبيعتين بل اختلاطهما الواحدة بالأخرى ، فتحولت الطبيعة البشرية إلى الإلهية[٧٩] ، وأن الطبيعة الإلهية قد خضعت لاحتمال الآلام الخاص بالبشرية .

فى القرن السادس ، دُعى القائلون بأن « أحد الثالوث القدوس قد صلب » : مؤلمى الله (ثيؤباسكيتاى) . أرثوذكسيتهم سندها الإمبراطور يوستينيان وليونيبتوس البيزنطى . لكن الصيغة رفضها بطريرك القسطنطينية وأيضا بعد شيء من التردد هورميسداس أسقف روما[٨٠] .

يقول ميندورف بأن الانطاكيين قد رذلوا « الثيؤباسكيزم » الذى لكيرلس ، لأنها بالنسبة لهم علامة أكيدة على المونو فيزيتزم (القول بالطبيعة الواحدة) وعلى غياب حقيقة الطبيعة البشرية لأن الإنسان وحده ـــ دون الله ـــ يمكن أن يموت[٨١] .

عالج ميندورف هذا الأمر بطريقة رائعة ، بقوله :

[كما نرى أن هذه التسبحة (الثلاثة تقديسات) فى الشكل الذى اقترحه

(المونوفيزيت) بطرس الكامل ، بطريرك أنطاكية : « قدوس الله ، قدوس القوى ، قدوس الحيّ الذى لايموت ، الذى صلب عنا ارحمنا » لم تكن من جهة هيكلها هرطوقية مادامت موجهة للمسيح لاللثالوث القدوس ....

كانت هذه المشكلة عينها واضحة حين نوقشت خلال السنوات السابقة لمجمع أفسس بخصوص تعبير « ثيؤتوكوس » : هل يمكن للكلمة أن يولد حقيقة من العذراء ، أم أن المولود هو الإنسان يسوع بن مريم ؟ لقد أكد كيرلس الإسكندرى ضد نسطور الشرعية اللاهوتية الكاملة لتعبير « ثيؤتوكوس » ، وهذا قاده إلى القول فى الاثنى عشر حرمانا أن « الكلمة قد تألم بالجسد » . على عكس هذا نجد رهبان Acoemetae الذين يمثلون الورثة الحقيقيين لمجمع خلقيدونية فى القسطنطينية لم يعترضوا على العبارة الثيؤبسخيتية (تألم أحد الأقانيم الثلاثة بالجسد) فحسب وإنما فسروا تعبير « ثيؤتوكوس » كحذلقة كلامية تقوية ، هذا التفسير قبله حتى نسطور نفسه .

ليس فقط القديس بولس الذى تحدث عن « عظماء هذا الدهر » الذين « صلبوا رب المجد » ١ كو ٢ : ٨ ، إنما يمكن أن نجد تعبيرات ثيؤبسخيتية فى اللاهوت فيماقبل نيقية أيضا[٨٢] ، بل وقد جعلها القديس غريغوريوس النزينزى العنصر الأساسى فى تعليمه بالخلاص : « كنا فى حاجة إلى إله يصير جسداً ويحكم عليه بالموت لكى يمكننا أن نحيا من جديد »[٨٣] ؛ ولم تكن بالنسبة له مشكلة فى استخدامه تعبيرات مثل : « دم الله » و « الله المصلوب »[٨٤] . ألم يعلن قانون الإيمان النيقوى ــ القسطنطينى إيمان الكنيسة أن « ابن الله ... تجسد من الروح القدس والعذراء مريم ... وأنه تألم عنا فى عهد بيلاطس البنطى » ؟ كان الشغل الشاغل للقديس كيرلس فى صراعه ضد نسطور هو حفظ إيمان نيقية ، إذ كان بالنسبة له فى خطر إن كف أحد عن القول بأن مريم « والدة الاله » أو أن الكلمة « تألم فى الجسد »[٨٥]] .

« ميافيزيس » فى العهد الجديد[٨٦]

أوضح قداسة البابا شنودة الثالث فى كتابه عن « طبيعة المسيح » الطبيعة

الواحدة للسيد المسيح فى العهد الجديد فى شىء من التفصيل . والآن أقدم مختصراً لهذه النقطة .

١ ــ ميافيزيس وميلاد المسيح

لنسأل أنفسنا : من الذى وُلد بواسطة العذراء مريم ؟ هل هو مجرد الله ؟ أم الله والإنسان ؟ أم مجرد الإنسان ؟ أم الإله المتجسد ؟

يستحيل القول إنه مجرد الله، إذ أنجبت طفلًا، وكل الحاضرين كانوا شهود رؤية له. ولم يكن مُجرد إنسان، وإلا سقطنا فى بدعة نسطور، ولماذا قيل فى الكتاب المقدس : « الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلى تظللك ، ولذلك المولود منك أيضا يُدعى ابن الله » لو ١ : ٣٥ . ماذا يعنى دعوة ابنها « عمانوئيل » ، الذى تفسيره : « الله معنا » مت ١ : ٢٣ ؟ مامعنى كلمات النبى أشعياء : « يولد لنا ولد ، ويُعطى لنا ابن ، وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً ، مشيراً ، إلهاً قديراً ، أباً أبدياً ، رئيس السلام » إش ٩ : ٦ ؟ لذا لم يكن مجرد إنسان ، إنما ابن الله ، عمانوئيل ، الله القدير !

لم تنجب العذراء إنساناً وإلهاً ، وإلا حُسبت قد أنجبت ابنين ، إنما أنجبت واحداً هو « الله المتجسد » .

إننا نعبده بكونه الإله المتجسد دون فصل لاهوته عن ناسوته . عندما زارت القديسة مريم اليصابات ، قالت القديسة العجوز : « من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ » لو ١ : ٤٣ ؟! » كان ذلك قبل أن تلد الطفل ، إذ دعيت « أم الرب » وهى بعد حامل .

يسوع المسيح الذى تحدث مع اليهود ، قائلا : « قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » يو ٨ : ٥٨ . لم يقل « كان لاهوتى كائناً قبل ابراهيم » بل قال : « **أنا كائن** » ، كبرهان على وحدة طبيعته .

أخيراً فإن تعليم الإنجيلى يوحنا « الكلمة صار جسداً » يو ١ : ١٤ يشير إلى السر الإلهى الخاص بوحدة شخص المسيح وطبيعته .

ب ـــ استخدام تعبير « **ابن الأنسان** » الذى يعبر عن ناسوته بينما يتحدث عن خصائص لاهوته مع عدم تغيّر أيٍّ من الطبيعتين . فقد أكد السيد هذه الوحدة بالعبارات التالية :

★ « ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء » يو ٣ : ١٣ . من هو ابن الانسان الذى نزل من السماء ؟ بالتأكيد اللاهوت ، الذى ينسب لنفسه إنه « ابن الانسان » كعلامة وحدة طبيعته .

★ بنفس الطريقة يقول إن « ابن الانسان » هو « رب السبت » (مت ١٢ : ٨) ، « وغافر الخطايا » (مت ٩ : ٦) ، « والديّان » (مت ١٦ : ٢٧ ؛ ٢٥ : ٣١ ـــ ٣٤ ؛ يو ٥ : ٢٢ ، الخ ...

بجانب هذا نجد بعض خصائص ناسوته تنسب للرب دون القول : « ناسوت المسيح » ، كقول القديس بولس : « لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد » ١ كو ٢ : ٨ ، إذ لم يقل إن « الجسد قد صلب » بل « صلبوا رب المجد » .

يقول القديس غريغوريوس أسقف نيصص : [بسبب الوحدة التى تمت بين الجسد الذى أُخذ واللاهوت الذى أخذ (جسدا) ، صارت الأسماء فى اختلاط . تطلق على كل منهما بطريقة مشتركة حتى يمكن الحديث عن اللاهوت بتعبير بشرى وعن الناسوت بتعبير إلهى . هكذا يدعو بولس المصلوب برب المجد (١ كو ٢ : ٨) وذاك الذى تتعبد له كل الخليقة التى فوق الأرض وتحتها وعليها بـ« يسوع »[٨٧]] .

ميافيزيس وخلاصنا

الميافيزيس أو « طبيعة المسيح الواحدة » ضرورية وأساسية فى تحقيق خلاصنا ، إذ يتساءل بعض اللاهوتيين المعاصرين : « كيف يمكن لجسد المسيح المحدود أن يغفر خطايا غير محدودة موجهة ضد الله ؟ هل جسد المسيح غير محدود ؟ أو هل صُلب لاهوت المسيح ؟ نجد الإجابة لصالح « الميافيزيس » ، لأن الرب قد صُلب (١ كو ٢ : ٨) ، وإن كان لاهوته لم يتألم ، وإنما ناسوته ، إذ تُنسب ذبيحة

الصليب للإله المتجسد ، بهذا يكون لها القدرة على غفران خطايا غير محدودة مُرتكبة فى حق الله .

مع أن لاهوت يسوع المسيح لايمكن أن يتألم ، غير أن كل أحداث خلاصنا خلال الصليب تُنسبت لابن الله نفسه ، وليس لجسده كما لو كان منفصلاً عن لاهوته .

أمثلة :

* « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد .... » يو ٣ : ٦
* « لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه » أع ٢٠ : ٢٨ .
* « الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين ... » رو ٨ : ٣٢ .
* « أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا » ١ يو ٤ : ١٠ .
* « الذى لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا ، الذى هو صورة الله غير المنظور ، بكر كل خليقة » كو ١ : ١٤ ، ١٥ (راجع أيضا أع ٣ : ١٤ ، ١٥ ؛ عب ٢ : ١٠ ؛ رؤ ١ : ١٧ ، ١٨ الخ ...) .

الديوفيزيس Dyophyseis (الطبيعتان) حسب الأنطاكيين

لكى نفهم الصيغة الأنطاكية : « طبيعتان بعد الاتحاد » ، يلزمنا أن نعرف وضعها بالنسبة للنزاع فى موضوع « الطبيعة والطبيعتين » .

١ ـــ لم يستطع الأريوسيون قبول لاهوت السيد المسيح لأن هذا يجعل منه فى نظرهم شخصين : الله وإنسان..

٢ ـــ أكد القديس أثناسيوس اتحاد اللاهوت مع الناسوت ، مكرراً إيمان الكنيسة بأن « جسد » يسوع المسيح هو جسده الخاص به وليس غريباً عن «المسيح » . هكذا فإن يسوع المسيح هو شخص واحد وليس اثنين ، له طبيعة واحدة دون انكار لحضرة لاهوته وناسوته الحركية .

٣ ـــ استخدم أبوليناريوس أسقف لاذيقية الصيغة الإسكندرانية « طبيعة واحدة » ولكن بمعنى لاهوتى من عندياته . وفى شغفه نحو حماية إيمان الكنيسة من

الأريوسية ظن أن اللوغوس قد اتحد بجسم إنسان وأنه احتل موضع النفس ، متجداً بالجسد الذى تقبله من العذراء مريم . بمعنى آخر ، لكى يحقق أبولليناريوس الاتحاد الأقنومى اعتقد أن ناسوت المسيح غير كامل (جسد بدون نفس) .

٤ ــ نظر قادة الأنطاكيين إلى « الاتحاد الأقنومى » الذى للقديس كيرلس بريبة وكأنه عقيدة أبوللينارية . هؤلاء اعتنقوا نظرية « حلول » اللوغوس فى الناسوت ، ليؤكدوا ناسوت المسيح ، أى ليؤكدوا أنه إنسان حقيقى كامل . أعلن نسطور هذه النظرية عندما رفض دعوة القديسة مريم « ثيؤتوكوس (والدة الإله) » ، ونبذ العبارة الإسكندرانية : « ابن الله مات » . فى الواقع أراد الأنطاكيون تأكيد ثلاث حقائق خاصة بالتجسد :

ا ــ كان ناسوت المسيح حقيقياً وكاملاً .

ب ــ لم يكن يوجد اختلاط بين طبيعتى المسيح .

جـ ــ لاهوت المسيح غير قابل للألم ، الله لم يتألم ولامات .

لكنهم فى نفس الوقت تحدثوا عن المسيح كشخصين وابنين [ابن الله وابن الإنسان] . هنا أقتطف بعض عبارات لنسطور :

[لنعترف أن الله فى إنسان ، لنعبد الإنسان الذى يُسجد له مع الله بسبب ارتباطه الإلهى مع الله الخالق(٨٨)] .

[من الذى مشى على الماء ؟ القدمان سارتا على الماء ، والجسد المادى خلال القوة الساكنة فيه . إنها معجزة ، لأنه لو كان الله ماشياً على المياه ، فليس فى هذا عجب(٨٩)] .

[إذن ، هل أنا وحدى الذى أدعو المسيح اثنين ؟ ألم يحدد نفسه هكذا ، الهيكل الذى يمكن أن يُنقض ، والله الذى يقيمه ؟(٩٠)] .

[الهيكل الذى خلقه الروح القدس غير الله الذى يقدس الهيكل(٩١)] .
اذن ازدواجية شخص المسيح واضحة فى عبارات القادة الأنطاكيين .

يقول ر . ب . س . هانسون : [يفضل اللاهوت الأنطاكى فيما يخص السيد المسيح تفريق طبيعتى المسيح ، مائلاً نحو النسطورية(٩٢)] . ويقول فرنسيس يانج : [كان ممثلو اللاهوت الانطاكى هم ديؤدور الطرسوسى معلم يوحنا الذهبى الفم ، وثيؤدور أسقف الميصة (مابين النهرين) وثيؤدورت أسقف قورش صديق نسطور والمدافع عنه . أُسيىء إلى سمعة هؤلاء جميعاً لالتصاقهم بالنسطورية ، غير أنه أعيد تقييمها من جديد فى العصر الحديث ، حتى بخصوص اللاهوت عند نسطور نفسه(٩٣)] .

Sellers الذى يدافع عن اللاهوت الأنطاكى قائلاً إنهم يتحدثون عن «اتحاد كامل» وإنهم يصّرون على «واحد غير منقسم»(٩٤)، يعود فيقول(٩٥) إنهم يشيرون إلى اللاهوت والناسوت ليس فقط كطبيعتين وجوهرين بل وأقنومين (كيانين) وأنه ليس أقنوم بدون برسوبون (شخص) : [يُرى كل من اللاهوت والناسوت فى المسيح بشخصه (بروسوبون) الخاص به ــ كل له مظهره وانفراديته وشخصه] .

يتحدث جاروسلاف بيلكان عن ثيؤدور الذى من الميصة ــ أعظم ممثل لمدرسة أنطاكية (٩٦) ــ قائلاً : [أُقتبس من ثيؤدور التعليم بأن اللاهوت قد فارق ذاك الذى اختبر الموت(٩٧) » . لكنه هو نفسه أكد أن « (ابن الله) لم يفارقه (أى يفارق الإنسان الذى أخذه) عند الصليب ، ولا تركه عند الموت ، بل بقى معه حتى أعانه ليفكّ آلام الموت (٩٨) » (٩٩)] .

واضح من تأكيده عدم التفريق حتى فى أثناء موت يسوع المسيح ، أنه يتحدث عن يسوع المسيح ليس فقط « فى طبيعتين » وإنما بكونه شخصين ، كائنين ارتبط أحدهما بالآخر . تظهر هذه الفكرة بوضوح عند شرحه معنى : « ابن محبته » كو ١ : ١٣ ، إذ يقول إن « الإنسان » الذى دعاه القديس بولس ، ليس هو الابن بالطبيعة (١٠٠) .

ملاحظات على اللاهوت الأنطاكى بالخاص بالسيد المسيح

١ ــ نظرية « الحلول » ، التى تبناها الأنطاكيون لم تكن لمجرد معارضة اللاهوت الاسكندرى الخاص بالاتحاد الأقنومى ، وإنما جاءت ثمرة عوامل كثيرة :

ا ــ خلال التصاقهم الشديد بحركة التهوّد اهتم الأنطاكيون بالعهد القديم خاصة تفسيره بطريقة حرفية . وكان لهذا فاعليته على اللاهوت عندهم كما يقول ميندورف : [النقد المتزمت لرجال مثل ديؤدور الطرسوسى وثيؤدور من الميصة وثيؤدورت قادهم إلى دراسة النص حرفياً ليصفوا تاريخ خلاصنا أكثر من تفسيره . إذ تمسكوا بالتفسير الحرفى للعهد القديم ، مال الأنطاكيون فى شرحهم للأناجيل والرسائل إلى أن يهتموا بصورة رئيسية بيسوع التاريخى ، غاية تاريخ اسرائيل ونهايته ، بكامل حقيقة طبيعته البشرية(١٠١)] . أى أن اهتمامهم بالتفسير الحرفى دفعهم إلى تأكيد حقيقة يسوع التاريخى فى طبيعته البشرية مستقلة عن اللوغوس الإلهى الساكن فيه .

ب ــ يقول Sellers : [يلزمنا ملاحظة أن من أساسيات فكر الأنطاكيين التعليم **بحتمية وجود فارق بين الله الخالق والإنسان المخلوق** ... عندما يشيرون إلى الجوهر الإلهي والجوهر البشرى يبدو أنهم يقدمون الله فى سرمديته والإنسان فى زواله كنقيضين تماماً ... كل ماهو كائن يمكن أن ينقسم إلى ماهو غير مخلوق وما هو مخلوق .... يلزم أن يُفهم أن هذه الفكرة تحتل صميم لُب تعليم الانطاكيين ، وأنه الأساس الحتمى لإصرارهم على « الطبيعتين » فى يسوع المسيح ، وضرورة التفريق والفصل بينهما (١٠٢)] . كما يقول : [يمكن أن يُدعوا أنثروبولوجيين (متخصصين فى علم الإنسان) ، لكن الانثروبولوجى بالنسبة لهم يحدّه الالتصاق بأفكارهم الأخلاقية والسوتيريولوجية (الخلاصية) (١٠٣)] .

عالج راون ا . جرير هذه الفكرة فى أكثر تفصيل فى كتابه : « ثيؤدور الذى من الميصة » (١٠٤) : [أينما وُجد ثيؤدور يؤكد أن الإنسان مخلوق . الإنسان بما فيه نفسه هو « genêtos » أما الله فوحده « agenêtos » ... الإنسان ملتصق بالله (بطريقة وثيقة) ليس فقط بفضل الخلقة وإنما أيضا بواسطة الخلاص الذى تحقق فى المسيح . المسيح هو **الإنسان** ، الذى يعبر بكمال عن « صورة الله » (١٠٥)] .

جـ ــ يقول Sellers : [هؤلاء المعلمون قد اهتموا اهتماماً فائقا بالإنسان ككائن **أخلاق** ، مركزين على وجه الخصوص على سلطانه فى تقرير

مصيره [16]] . لقد تبنى الأنطاكيون صيغة : « طبيعتان بعد الاتحاد » لتأكيد الناسوت الكامل ، خاصة الحرية الإنسانية ، أو إرادته البشرية] .

عالج جرير أيضاً هذه النقطة بفيض ، فقال إن ثيؤدور تبنى : [فكرة الإنسان كمخلوق ذى نفس حرة عاقلة متغيرة . وقد بقى الخلاص مفهوماً على أنه هو الخلود وعدم التغير ، لكن هذا المصير يمكن بلوغه بشرط ممارسة الإنسان لحرية إرادته ... الاتحاد الطبيعى (الأقنومى) يُفهم أولا وقبل كل شيء كفقدان للحرية الإنسانية (فى المسيح يسوع) . اللاهوت عند كيرلس فى نظر نسطور يعمل بطريقة آلية فى المسيح ، فلا توجد ممارسة للحرية فى حياة ربنا ، لأن الله حرّك كل شيء ... إن كان الاتحاد قد وصف طبيعياً (أقنومياً) فلا مجال للإرادة والحرية الإنسانية بالنسبة للمسيح . ادعى نسطور أن هذا الاتجاه الاسكندرى فى التفكير (أى الاتحاد الأقنومى) ينكر ناسوتية ربنا وأن كيرلس مثل أبوليناريوس يخاطر بإنكار حريّة أو استقلال إرادة المسيح وحقيقة وجود نفسه البشرية ، مستبدلًا ممارسة هذه الخواص البشرية بعمل اللاهوت الآلى ... قرر نسطور بحزم أن الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية منفصلتان ولهما كمال الحرية [107]] .

لقد سبق لى معالجة « الاتحاد الأقنومى » الاسكندرى ، موضحاً أنه ليس أبوليناريا ولا يجحد ناسوت المسيح فى حقيقته أو كماله .

د ـــ بخصوص « وحدة » المسيح ، رفض الأنطاكيون الاتحاد الأقنومى وتبنوا « الاتحاد البروسوبونى Prosôpic » ، الذى أعالجه فى تعليقى على طومس لاون .

٢ ـــ يفصل الأب فلوروفسكى بين الديوفيزيس النسطورى (أى عقيدة النساطرة الخاصة بالطبيعتين) عن الديوفيزيس الخلقيدونى ، مميزاً بين :
ا ـــ ديوفيزيس سيمترى (متماثل) Symmetrical dyophesis ، كما يظهر فى الطبيعة (بروسبورا) بحسب الفكر النسطورى بطريقة ثنائية ، فنجد توازياً كاملاً لطبيعتين ، يؤدى إلى ثنائية فى الكيان (prospora) ، فيكون الاتحاد مجرد اتحاد عمل فقط .

ب ـــ ديوفيزيس غير سيمترى (غير متماثل) Asymmetrical dyophesis ، حيث يوجد أقنوم واحد ينسب إليه كل شيء (وليس شخصين أو كيانين) ،

رغم الحفاظ الدقيق على تمايز الطبيعتين الإلهية والإنسانية . والأقنوم الإلهى يشمل الإنسانية التى لها وجود وكأنها ضمن هذا الأقنوم الواحد ، ولا توجد سيمترية : طبيعتين ولكن أقنوم واحد .

الآن ، إذ أخذنا فكرة عن صيغة الاسكندرية « طبيعة واحدة لكلمة الله المتجسد » ، والصيغة الأنطاكية « طبيعتان بعد الاتحاد » ، أود مناقشة صيغة لاون أسقف روما : « فى طبيعتين » .

هل يمكن لطومس لاون أن يحقق مصالحة (بين المدرستين) ؟

يصف بعض الدارسين « طومس لاون » ، الذى كان المستند الرئيسى لمجمع خلقيدونية ، كما لو كان مصالحة بين الاسكندريين والأنطاكيين من جهة اللاهوت الخاص بالسيد المسيح . ففى نظرهم ، أنه بينما يعلن عبارة « فى طبيعتين » فى المسيح لاستبعاد فكرة الاختلاط كما أصر الأنطاكيون على (الطبيعتين) ، يكرر أن يسوع المسيح هو « الابن الواحد بعينه » ليؤكد الفكر الاسكندرى الخاص « بوحدة يسوع المسيح » ، ووحدة شخصه . قبل مناقشة هذا الأمر أقتبس بعض عبارات وتعليقات كتبها دارسون غربيون أو لاهوتيون شرقيون خلقيدونيون بخصوص طومس لاون والفكر اللاهوتى الخريستولوجى للغرب حتى القرن الخامس .

يقول Sellers : [كما هو معروف فإن الغربيين على خلاف إخوتهم الذين فى الشرق ليس لهم اهتمام حقيقى بالتفكير (التأمل) ، بل بالحرى هم محامون ومدبرون ، متمرسون على الشريعة الرومانية والخطابة ، ويعطون الأولية للتنظيم الكنسى ، وكل ما يتعلق به . كما أنهم إذ تأثروا بفكرة السيادة الرومانية يفكرون فى الله بعبارات تظهره كحاكم أكثر من العبارات الخاصة بكينونته[١٠٨]] .

تحت عنوان : « الغرب ولاون » قال Kelly : [حتى الآن ـــ وباستثناء ترتليان ـــ قدم الغرب القليل فى النظرية الخاصة بالخريستولوجى ، وربما لم يساهم بشىء إطلاقاً[١٠٩] ...] .

يقول الأب الأستاذ فلوروفسكى اليونانى : [إن أُخذ طومس لاون بمفرده ، ربما يخلق إيحاءً مضاداً ومبالغاً فيه بخصوص الطبيعتين، خاصة بإصراره على أن ينسب

أعمالا معينة للسيد المسيح لطبائع مختلفة دون التأكيد اللازم على وحدة شخص المسيح ، بالرغم من نية البابا نفسه الصادقة والأرثوذكسية . ولكن التفسيرات التى قدّمها مؤرخو الرومان الكاثوليك واللاهوتيون فى العصور الحديثة للطومس كثيرا ما تعلن اتجاهاً نصف نسطورى . الأمر الذى أشار إليه مؤخراً بعض الكتاب الرومان الكاثوليك أنفسهم[١١٠]] .

يقول ميندورف : [على أى الأحوال ، الاصطلاحات اللاتينية للاون لم تشبع الشرق [١١١]] .

فى الواقع ، لقد قبل الأنطاكيون الطومس ، حتى نسطور نفسه ، إذ يقول ميندورف : [من المعروف أن نسطور الذى كان حياً عام ٤٥١ ، قدم موافقته على طومس لاون [١١٢]] . أما الاسكندريون فرفضوه بالرغم من وجود بعض نقط الاتفاق فى الخريستولوجى معهم .

نقاط الاتفاق :

ركز طومس لاون على تفنيد هرطقة أوطيخا الراهب الشيخ ، الذى كان متردداً فى عباراته اللاهوتية عندما اتُّهم أنه أنكر ناسوت المسيح[١١٣] . تفنيد لاون هنا للأوطاخية يؤكد بعض نقاط الاتفاق بين التقليدين الاسكندرى والأنطاكى ، وقد لخصها الأب صموئيل فى ثلاث نقاط[١١٤] :

١ ـــ ناسوت المسيح حقيقى .

٢ ـــ دخل الكلمة نفسه ـــ خلال ميلاد يسوع المسيح وحياته وتدبيره ـــ مجال الوجود الزمنى (الأرضى) وقام بعمل الخلاص للجنس البشرى .

٣ ـــ استمر لاهوت يسوع المسيح وناسوته بدون تغيير فى شخصه الواحد .

أما الخلاف بين الاسكندريين والأنطاكيين هو أن الأولين أكدوا وحدة شخص المسيح لحماية الإيمان من النسطورية بينما أكد الأنطاكيون اختلاف الطبيعتين ضد الأوطاخيين أو ضد اختلاط الطبيعتين وابتلاع ناسوت المسيح ... لقد شرح الطومس اللاهوت الأنطاكى متجاهلاً الاسكندرى كما سنرى فيما بعد ...

نقاط الخلاف

١ ـــ عندما قُرِئ طومس لاون فى مجمع خلقيدونيه اعترض بعض الأساقفة

على ثلاث فقرات منه فهمت أنها تحمل اتجاهاً نسطورياً . حتى النقاد المحدثين يرون أن لاون قد أدخل فكرة الشخصية الثنائية ليسوع المسيح خلال تعليمه (أى لاون) أنه تمم ما هو إلهى فى الشكل الإلهى وما هو بشرى فى شكله الإنسانى ، أى لم يعد بعد واحداً بل صار « منقسماً على نفسه (١١٥) » .

يرى لاون أن كل طبيعة « تعمل مايخصها بالاشتراك مع الطبيعة الأخرى » . وهكذا ينظر إلى كل طبيعة بأن لها كيانها وشخصيتها المستقلة حتى يمكن أن تؤدى ما يخصها بالاشتراك مع الطبيعة الأخرى (١١٦) .

العبارات الثلاث الواردة فى الطومس والتى اعترض عليها الأساقفة هى :

ا — [لكى يفى الدين الذى علينا ، تتحد الطبيعة غير القابلة للتأثر بالتى هى قابلة للتأثر ، فيكون العلاج مناسباً ، « الوسيط بين الله والناس ، الإنسان يسوع المسيح » الواحد بعينه يتكون من عنصر قابل للموت وعنصر غير قابل للموت (١١٧)] .

علق البابا تيموثاوس الاسكندرى فى القرن الخامس على ذلك قائلاً إن كلمة الآب (اللوغوس) السرمدى بعينه هو الذى تجسد من العذراء ، هو بعينه الذى تجسد « مات بالجسد عن حياة العالم » . لقد أشار إلى أن « الطبيعتين والشخصيتين والخصائص » لم ترد بواسطة آباء نيقية الذين لم يفرقوا المسيح الواحد ، معترفين بأن كل ما هو إلهى وماهو بشرى فى التدبير إنما يخص الشخص الواحد . ويقول القديس كيرلس : [الرب نفسه خلصنا ، ليس بموت غريب عنه ، ولا بوساطة إنسان عادى بل بدمه هو (١١٨)] .

ب — [كل « **شكل** » يقوم بالأعمال التى تخصه فى شركة مع الآخر ؛ اللوغوس يحقق ما يخص اللوغوس ، والجسد يقوم بما يخص الجسد ؛ واحد يتجلى فى المعجزات والآخر يُذل بالآلام (١١٩)] . تبدو هذه العبارة مثلًا صارخاً لميول لاون النسطورية . يؤكد فيلكسينوس فيما بعد أن لاون قد « عدد » الهيبوستاسس فى المسيح ، وبقوله « شكلين » يعلم بابنين وشخصين . كذلك يقول سويرس الأنطاكى إن تعليم لاون مجرّد « علاقة شركة بين شكلين » .

جـ ــ [بالرغم من أن شخصاً واحداً لله والإنسان فى الرب يسوع المسيح ، لكنه يوجد أمر آخر هو التصاق ماهو عار بالاثنين ، إذ أخذ مايخصنا أى الناسوت فصار أقل من الآب فى حين أنه أخذ من الآب اللاهوت مساوياً له (١٣٠)] .

يعتقد الخلقيدونيون أن لاون ــ فى هذه الفقرات الثلاث المتنازع عليها ــ لم يفرق المسيح الواحد بل سار على ذات خط كيرلس نفسه فى تعريف الاختلاف بين طبيعتيه . هذا كان يمكن قبوله لو أنه أكد الاتحاد الأقنومى ولم يرفض صيغة : « الطبيعة الواحدة لله الكلمة المتجسد » .

٢ ــ يتحدث لاون فى طومسه عن « شخص واحد » ... أما يكفى هذا لتأكيد وحدة شخص المسيح ؟

هذا الاصطلاح « شخص واحد » فى ذاته لايشبع اللاهوتيين الاسكندريين ، لأسباب كثيرة :

ا ــ أولاً أن الاصطلاحين اليونانيين « بروسوبون » و « هيبوستاسس » استخدمهما اللاهوتيون الشرقيون فى القرن الخامس مقابل كلمة « برسونا » فى اللاتينية ، فماذا يقصد لاون بقوله « شخص واحد » ؟ بحسب ماجاء فى ميندورف : [على أى الأحوال الاصطلاحات اللاتينية للاون لم تشبع الشرق (١٣١)] . وبحسب ماجاء فى Kelly : [استطاع الأنطاكيون أن يتعرفوا على لاهوتياتهم فى تأكيد لاون الشديد للثنائية فى المسيح وعن حقيقة الطبيعتين واستقلالهما . بعض عباراته حقاً ... كانت حجارة عثرة أمام اللاهوتيين الاسكندريين بخصوص السيد المسيح (١٣٢)] .

ب ــ كان نسطور نفسه يردد العبارة [توجد طبيعتان لكنه شخص واحد (١٣٣)] . فقد آمن بالاتحاد البروسوبونى ، قائلاً : [تحيا الطبيعتان فى بروسوبونهما وفى طبيعتيهما ، كما فى بروسوبون الاتحاد (١٣٤)] . بمعنى آخر ، أكد طومس لاون مثل اللاهوت الأنطاكى اتحاد الطبيعتين على مستوى البروسوبون ، أما الاسكندريون فجعلوا الاتحاد واضحاً بصيغهم : « من اثنين » ، « طبيعة واحدة لكلمة الله المتجسد » ، وتبنى « الاتحاد الأقنومى » .

جـ ـــ بينما يعلن لاون : « شخص واحد »، يصر أيضاً على القول : [كل طبيعة تتمم ماهو لائق بها فى شركة مع الأخرى ؛ الكلمة مثلاً يتمم ماهو لائق بالكلمة ، والجسد يقوم بما يليق بالجسد] وأن وحدة الشخص إنما [تفهم فى وجود كلتا الطبيعتين] . واضح أنه بحسب ماجاء فى الطومس ، الكلمات والأعمال تعبر عنها الطبيعتان . وكأن اصطلاح « طبيعة » جاء بمعنى « هيبوستاسس »، بينما بالنسبة للقديس كيرلس كل الأعمال والكلمات يعبر عنها الهيبوستاسس الواحد (١٢٥) .

د ـــ يقرر لاون فى طومسه أن الطبيعتين أو الكيانين « يجتمعان فى شخص واحد » خلال التوافق وليس خلال « الوحدة oneness » . لقد استخدم عبارة « الابن الواحد بعينه » لكن روح الطومس يفرق ويشخّص ماهو إلهى وماهو إنسانى فى المسيح . لقد أبطل الاتحاد الأقنومى وأحل محله مجرد ارتباط بين اللوغوس وإنسان . لقد أعلن فى موضع آخر رفضه الاتحاد الأقنومى ملقباً الذين يتبنون صيغة : « طبيعة واحدة لكلمة الله المتجسد » هراطقة أتباع أبولليناريوس ومخادعين إذ هم أوطاخيون يتسترون بهذه الصيغة (١٢٦) .

هـ ـــ اصطلاح « شخص (بروسبون) واحد » غير كافٍ ، لأنه كما جاء فى ميندورف (١٢٧) فإن هذا الاصطلاح كان مشاعاً بالنسبة لطبيعتى المسيح اللاهوتية والناسوتية ، ويمكن تفسيره فى أيام ثيؤدورت ليعنى مجرد قناع .

هل يمكن لصيغة الإيمان الخلقيدونى أن تحقق المصالحة ؟

للدفاع عن صيغة الإيمان الخلقيدونى قدم بعض الدارسين الأدلة التالية للبرهنة على أنها حققت تصالحاً بين مدرستى الإسكندرية وأنطاكيا :

أولا : بينما ترفض الاختلاط الأوطاخى للطبيعتين تكرر مؤكدة أن يسوع المسيح هو الابن الواحد بعينه ، وأنه شخص واحد « معروف فى طبيعتين (١٢٨) ». تعلن صيغة الإيمان الخلقيدونى [كلا الطبيعتين متوافقتان فى شخص (بروسوبون) واحد وهيبوستاسس واحد ـــ غير مفترق إلى شخصين (بروسوبون) بل هو الابن الواحد بعينه ، الوحيد . اللوغوس الإلهى ، الرب يسوع المسيح ...] .

نقدم الملاحظات التالية على هذا الدليل :

١ ــ سبق أن ناقشنا موضوع : « شخص واحد » كما ورد فى طومس لاون ، إنه لايكفى لاعلان الاتحاد الحقيقى للاهوت المسيح وناسوته .

٢ ــ حقاً قد أضافت صيغة الإيمان الخلقيدونى عبارة « هيبوستاسس واحد » ، لكن هذه الإضافة لاتعنى قبول المجمع للاتحاد الأقنومى وربما أضيفت لتجنب اعتراض الأساقفة على صيغة الإيمان ، إذ اعتقد الغالبية فى : « الطبيعة الواحدة لكلمة الله المتجسد » . وحتى مع استخدام هذه العبارة (هيبوستاسس واحد) كان الأساقفة معارضين للصيغة . يقول ميندورف : [... رُفضت صيغة الإيمان الخلقيدونى بواسطة عدد كبير من مسيحيى الشرق . فمن جهة كانوا يعارضونها ، لأنه فى مجمع سنه ٣٣١ صدر منع من إيجاد صيغ إيمان جديدة ، وأيضا بسبب الحوار الذى قاه به المصريون متمسكين بصيغ الإيمان التى تمثل نصرة رئيس أساقفتهم العظيم كيرلس على نسطور [١٢٩]] .

هذا وقد أخذ الجانب الأنطاكى اصطلاح « هيبوستاسس » بمعنى بروسوبون حسبما أعلن بالحقيقة ثيؤدورت فى خطابه إلى يوحنا أسقف Agae . فإن الأخير اعترض على تبنى خلقيدونيه لعبارة « هيبوستاسس واحد » ، فكتب ثيؤدورت إليه يقول : [لذلك الذين يشيرون إلى طبيعتين يؤكدون اتحاداً بدون اختلاط : فإنه من الواضح أنهم لم يأخذوا عبارة « هيبوستاسس واحد » بمعنى « جوهر » أو « طبيعة » وإنما بمعنى « بروسوبون »] ، [لهذا « الهيبوستاسس الواحد » قد ثبته المجمع المقدس كما قلت ، ليس أن « هيبوستاسس » تعنى « طبيعة » وإنما تعنى « بروسوبون » . هذا واضح من صيغة الإيمان ، لأن « بروسوبون » و « هيبوستاسس » اصطلاحان متجانسان [١٣٠]] .

يوحنا البليغ J. The Grammarian أيضا قال : [« هيبوستاسس » التى وضعت هنا يُفهم منها « بروسوبون » [١٣١]] .

ثانياً : يقول Sellers بأنه وإن كانت صيغة « فى طبيعتين » فى الواقع قد أُلزم بها المجمع بواسطة القضاة المدنيين بتأثير نواب البابا الذين تعلموا أن يتحدثوا عن «Unus in utroque » وقد صمموا أن تكون كلمات صيغة الإيمان متفقة مع

طومس لاون ، لذلك استبعدت الصيغة التقليدية « من طبيعتين » من خلقيدونيه ، وأدخلت « فى » عوض « مِن » حتى لاتُعطى الأخيرة معنى خاطئا (١٣٢) .

قال أيضاً إن المجمع لم ينبذ الصيغ الاسكندرانية فى معانيها السليمة وإنما نبذ إساءة فهمها (١٣٣) .

هنا نلاحظ أن Sellers المدافع عن مجمع خلقيدونيه يشهد بأن الصيغة الإسكندرانية « من طبيعتين » هى التى كان الشرقيون يقرونها منذ زمن طويل (١٣٤) ، وأن الصيغة الأخرى « فى طبيعتين » قُبلت تحت ضغط القضاة المدنيين بتأثير نواب روما .

فى الواقع إن مجمع خلقيدونيه قد نبذ صيغة « طبيعة واحدة » ، إذ جاء فى قراراته : [يحرم المجمع القائلين بكلمات باطلة عن طبيعتى الرب إنهما اثنتان « قبل الاتحاد » ، وإنهما تفهمان طبيعة واحدة « بعد الاتحاد »] .

ثالثاً : فى دفاعه عن صيغة إيمان خلقيدونيه يعلن Sellers أن طومس لاون (وبالتالى صيغة إيمان خلقيدونيه) استخدم « Communicatio idiomatum » أى تبادل الألقاب والخواص بين الطبيعتين ؛الذى يوضح الإصرار على وحدة شخص المسيح (١٣٥) .

حقاً إن « تبادل الألقاب والخواص » التى تقرر أن جسد المسيح يشارك اللوغوس فى ألقابه وخواصه والعكس أيضا ، هو أحد السمات الرئيسية للخريستولوجى الاسكندري لكنه لايكفى لتأكيد الاتحاد الأقنومى .

لقد أكد عظماء قادة الجانب غير الخلقيدونى فى القرنين الخامس والسادس ، أى تيموثاوس بابا الاسكندرية (٤٥٧ ـــ حوالى ٤٧٧ م) وفيلوكسينوس أسقف Mabbogh (تنيح حوالى سنة ٥٢٣ م) وسويرس الأنطاكى (٥١٢ ـــ حوالى ٥٣٨) أن الخطأ الرئيسى لمجمع خلقيدونيه يكمن فى حذفه ثلاث صيغ الإيمان التقليدية المقاومة للنسطورية، أى : « من طبيعتين » و « طبيعة واحدة متجسدة » و « الاتحاد الأقنومى » . هذا مع استخدامه صيغة : « فى طبيعتين »

التى توحى بالثنائية النسطورية . يقول تيموثاوس الاسكندرى : [لاتوجد طبيعة (Substantio) دون أقنوم لها ، ولا يوجد أقنوم دون بروسوبون ؛ فإن وجدت طبيعتان ، وجد بالضرورة بروسوبونان ، وبالتالى وُجد أيضا مسيحان ، كما نادى هؤلاء المعلمون الجدد (١٣٦)] . واستخدم فيلوكسينوس ذات الدليل ، قائلًا : [لا توجد طبيعة بدون شخص ، ولا شخص بدون طبيعة ، فإن وجدت طبيعتان فبالضرورة يوجد شخصان وابنان (١٣٧)] .

رفض فيلوكسينوس صيغة : « فى طبيعتين » ، لأنها تعنى أن الناسوت قد تكون فى رحم العذراء بذاته ، وبعد ذلك اتخذه الله الابن . بهذا ــ كما يقول فيلوكسينوس ــ توجد طبيعتان ، ويوجد شخصان ، أى الله الابن ، والإنسان يسوع .

لقد انتقد هؤلاء القادة مجمع خلقيدونيةليس لإدانته الأوطاخية أو الأبولينارية بتأكيد حقيقة وكمال ناسوت المسيح ، وإنما لأنه لم يؤكد وحدة ربنا يسوع المسيح بما فيه الكفاية ، متهمين إياه بالثنائية النسطورية . يقدم ميندورف تعليقاً على دور هؤلاء القادة فى الحوار الخريستولوجى قائلاً : [خلال النصف الثانى من القرن الخامس والنصف الأول من القرن السادس ، قد ساد عظماء اللاهوتيين (المونوفزيت) على المسرح وهم تيموثاوس أوليريوس وفيلوكسينوس أسقف Mabbugh ، وعلى وجه الخصوص سويرس الأنطاكى ، ولم يكن لدى الخلقيدونيين لاهوتى واحد بارز يقف أمامهم (١٣٨)] .

يقول Sellers : [يلزمنا أن نفهم أولاً أن اللاهوتيين (المونوفزيت) لم يكونوا هراطقة ولانظر إليهم قادة الخلقيدونيين كهراطقة (١٣٩)] .

+ − +

بعض الاصطلاحات اللاهوتية الأخرى

بعد معالجتنا للاصطلاح « Physis » فى الكتاب المقدس وفى الكنيسة الأولى ، خاصة بالنسبة لمدرستى الاسكندرية وأنطاكية ، يليق بنا أن نأخذ فكرة عن بعض الاصطلاحات الأخرى مثل : Ousia, Prósôpon, Substantia, Hypostasis ، إذ ترتبط هذه الاصطلاحات بالاصطلاح Physis . هذا يعيننا فى تقديم بيان خاص بالسيد المسيح Christological يمكن أن يرضى العائلتين الأرثوذكسيتين .

١ ـــ كيان Substantia أو Substance

كلمة لاتينية تعنى قبل كل شيء « وجود حقيقى » ، وبالتالى تعنى شخصية وخواص الكائن ـــ سواء كان شخصاً أو شيئاً ـــ التى تعضيه كيانه .

أحياناً يُفهم هذا التعبير « Substantia » بكونه : « طبيعة الكائن » ، غير أنه فى الواقع توجد كلمة لاتينية أخرى « Natura » تعطى هذا المعنى. Substantia هى ما يعطى الشخصية وجودها ، أما Natura فتعنى مجموعة سمات يمكن أن يشترك فيها الكائن مع غيره .

حدث فى الفكر اللاتينى الغربى لبس بين كلمة « Substantia » والكلمتين « (جوهر) Ousia » و « (أقنوم) Hypostasis » . فقد ترجمت الكلمتان اليونانيتان إلى كلمة Substantia فى أعمال القديس إيريناؤس . وقد سبب هذا اللبس سوء فهم بين ديونسيوس الرومانى وديونسيوس الاسكندرى حيث اتهم الأول الثانى أنه ينادى بثلاثة آلهة لأنه قال بثلاثة أقانيم ، إذ فهم الرومانى الثلاثة أقانيم على أنهم ثلاثة (كيانات) Substances إلهية . لكن الإسكندرى شرح عقيدته مؤكداً الجوهر (Ousia) الواحد .

وصف ترتليان الله بأنه : [كيان واحد ، ثلاثة « أشخاص » فى حالة واحدة (أى دون انفصال) Una substantia, tres Personae in unto statu] . وقد فهم ترتليان الـ Substantia أنها نور ونار وأمر غير منظور الذى وإن كان فى كيانه

وحدة واحدة لكنه يحمل تمايزا فى داخله . الآب والابن والروح القدس هم حقيقة الله الواحد. الابن مولود من هذا الكيان Substantia الواحد الذى هو الآب، وبهذا ينال حقيقته دون انفصال عنه . الكيان الإلهى أساسياً هو واحد ، والابن كما لو كان تدفقاً عن هذا الكيان الواحد (١٤٠) .

[بالنسبة (للوغوس) ، قد تعلمنا أنه صادر عن الله ، مولود منه فيكون ابن الله ويدعى الله بسبب وحدة الكيان (١٤١)] .

٢ ـــ بروسبون Prósôpon أو برسونا Persona

لاتعنى الكلمة اللاتينية Persona أو اليونانية بروسوبون Prósôpon شخصاً أى Person فى الانجليزية ، وإنما تعنى :

ا ـــ **قناع** : فهى مشتقة من الكلمة Pherusa وهى كلمة إترسكانية Etruscan ، مرتبطة بالطقس التعبدى الخاص بالإلهة Persephone ، حيث استخدم اسم الإلهة لوصف القناعات التى كانت تستخدم فى عيد الإلهة (١٤٢) . فى البداية كانت تستخدم لتعنى القناع الذى يرتديه الممثل ليقوم بدور شخص آخر ، بعد ذلك صارت تستخدم لتشير إلى عمل تنكرى أو شخص ، غير أن الكلمة اليونانية بخلاف اللاتينية فإن معنى « التشخيص » [تمثيل شخص] أكثر بروزاً من معنى الشخصية المستقلة (١٤٣) .

ب ـــ **وجه** (١٤٤) : غالباً ماتعنى كلمة « برسوبون » « وجهاً » فى العهدين القديم والجديد (تك ١٧ : ٣ ؛ مت ٦ : ١٦ ، ١٧ ؛ أع ١٦ : ٥ ؛ رؤ ٤ : ٧) . أيضا بمعنى واسع تعنى « المظهر الشخصى » تك ٤٠ : ٧ ، « شكل » ، « منظر » ، وبإضافة حرف Kata باليونانية تعنى « الحضرة الشخصية » .

جـ ـــ **شخص** (١٤٥) : معنى آخر للكلمة هو « الشخص » إما اجتماعياً أو نحوياً أو قانونياً(استخدمت هكذا ـــ قانونياً ـــ فى وقت متأخر) . جاءت فى ٢ صم ١٧ : ١١ ، ٢ كو ١ : ١١ لتعنى الشخص بكامله .

د ـــ **الجانب الأمامى** : تعنى الجانب الأمامى حينما تستخدم معها حروف جر كما فى أع ٣ : ١٩ ؛ ٥ : ٤ ـــ ٥ ؛ ٢ كو ٨ : ٢٤ ؛ ٢ : ١٠ ؛ ٥ : ١٢ ؛ مر ١ : ٢ .

استخدامها فى الكنيسة الأولى

١ ــ عند الآباء الرسوليين(١٤٦) : ليس لها معنى معين خاص لدى هؤلاء المؤلفين (الآباء الرسوليين) ، وإنما نجدهم يستخدمون المعانى العادية : وجه ، الجانب الأمامى ، شخص ...

٢ ــ فى التعليم الثالوثى والخاص بالسيد المسيح(١٤٧) : صارت الكلمة « برسوبون » لها أهمية قصوى فى المناقشات الخاصة بشخص المسيح وبالثالوث . لم يعد المعنى القانونى ذا أهمية فى المراحل الأولى ، وإنما صار يتقبل معناه خلال المحاورات . وقد تحقق الآباء أن هذا التعبير غير كافٍ ، لذا وجب تحديد وشرح ما يعنيه .

نذكر على سبيل المثال ، استخدم هذا التعبير فى الكنيسة الأولى ليعنى الوجه ، أى وجه الشخص أو حضرته خلال عمله وشخصيته وحالته . العلامة ترتليان وكتّاب غربيون آخرون استخدموه ليصف « الشخصية الفردية (الذاتية) » . فقد وصف المسيح بكونه « الوجه » (برسونا) المنظور للآب غير المنظور (١٤٨) .

عندما استخدم سابيليوس تعبير « بروسوبون » بمعنى « قناع » ، قائلاً بأن الثلاثة بروسوبون هم ثلاثة أشكال ليس إلا ، استبدل آباء الكنيسة هذا التعبير بكلمة « أقانيم » hypostaseis (١٤٩) .

٣ ــ جوهر Ousia

قدم اللاهوتيون الاسكندريون الأوائل تمييزاً واضحاً بين الـ Ousia والـ hypostasis ، الأول يعنى ماهو عام ، كائن ، حقيقى بطريقة ديناميكية ، أما التعبير الثانى فيعنى ماهو متمايز . كانت الصيغة الإيمانية الاسكندرانية هى : [جوهر (Ousia) واحد ، ثلاثة أقانيم (١٥٠)] ، قام الآباء الكبادوك (١٥١) بتوضيحها كصيغة كنسية خاصة بالثالوث والسيد المسيح .

يليق بنا أن نلاحظ أن الكسندروس بابا الاسكندرية استخدم تعبير « ثلاثة أقانيم » خمس مرات فى دفاعه ضد الأريوسيين ، بينما أحجم خلفه البابا أثناسيوس عن استخدام هذا التعبير إلى حين ، ذلك لأن الغرب ــ خاصة روما (١٥٢) ــ استخدم كلمة hypostasis بمعنى ousia . وقد استغل الأريوسيون هذا الفهم ليؤكدوا أن الابن وهو أقنوم له جوهره الخاص به وليس واحداً مع الآب فى

الجوهر [١٥٣] . وفى عام ٣٦٢ أوضح القديس أثناسيوس الاصطلاح « hypostasis » وتمايزه عن الاصطلاح « ousia » ، وإن اعتقادنا بثلاثة أقانيم لايعنى ثلاثة جواهر . على أى الأحوال ، كما هى عادة أثناسيوس أنه يركز دائماً على النقط الجوهرية متجنباً الخلافات اللفظية [١٥٤] .

٤ ــ الأقنوم Hypostasis

الاصطلاح « hypostasis » منشق من كلمتين : « هيبو » تعنى « تحت » ، « ستاسس » تعنى « قائم » ، فيكون المعنى الحرفى لهذا الاصطلاح هو : « القائم تحت » ، أى مايقوم تحت كأساس ...

استخدم فى الكتاب المقدس بالمعنيين التاليين [١٥٥] :

ا ــ **تأكيد أو ثقة** : صفة الثقة التى تقود الشخص للخضوع أو لاحتمال أمر ما أو التعهد بعمله (٢ كو ٩:٤ ؛ ١١ ؛ ١١:٧ ؛ عب ١٤:٣) .

ب ــ **كيان Substance** : جاءت مرتين فى الرسالة إلى العبرانيين بمعنى « الكيان » ١ : ٣ ؛ ١١ : ١ الذى للمسيح ، بكونه « صورة كيان الله » . هنا تحمل الكلمة معنى « الطبيعة الحقيقية » لما قد أشير إليه مقابل الإعلان الخارجى ؛ إنها تتحدث عن الجوهر الإلهى لله الكائن والمعبر عنه فى إعلان ابنه . ربما « الحقيقة الفائقة » تكون أقرب إلى المعنى .

سبق أن رأينا أن آباء الكنيسة فضلوا استخدام الاصطلاح « ثلاثة أقانيم » عوض البروسبون ، لأن سابيليوس استخدم الاصطلاح الأخير بمعنى « قناعات » أو « أشكال » ليس إلا .

والهيبوستاسس يمكن أن يكون بسيطاً أو مؤلفاً كما فى حالة الإنسان ، إذ هو هيبوستاسس واحد لكنه مؤلف ، إذ يحوى جسداً ونفساً .

يقول الأستاذ ميندورف : [إن الاصطلاح « هيبوستاسس » قد استخدم معادلاً لكلمة « الطبيعة physis » خاصة فى الاسكندرية وأنطاكية ، وبالرغم من استخدامه بدقة شديدة بواسطة الكبادوك العظماء فى حديثهم عن السرّ الثالوثى [١٥٦]] .

استخدم القديس كيرلس تعبير « فيزيس » كمعادل للهيبوستاسس ، إذ يقول [إننا نؤكد أن الكلمة ... « **الطبيعة** » التي تهب حياة للكل ، الذي هو الابن الوحيد ، المولود من جوهر الآب بطريقة لاتوصف[١٥٧]].

حتى ولان في طومسه مع أنه تحدث عن يسوع المسيح كبروسؤبون (شخص) واحد ، لكنه تحدث عن طبيعتيه كما لو كانتا بروسؤبونين أو أقنومين ، حتى أن النقاد الحديثين يرون أن المسيح كما جاء في طومس لاون وتعريف الإيمان الخلقيدوني لم يعد واحداً بل « منقسماً على نفسه[١٥٨] » .

نحو وحدة الكنيسة الأرثوذكسية

من الواضح أن العائلتين الأرثوذكسيتين ليستا فقط متقاربتين وإنما متفقتين في النقاط التالية :

١ ـــ كلنا يدين ويحرم النسطورية والأبولينارية والأوطاخية .

٢ ـــ اتحاد لاهوت المسيح وناسوته تحقق في لحظة الحبل به ، بدون انقسام أو تفريق ، وبدون اختلاط أو تغيير .

٣ ـــ ناسوت المسيح حقيقي ، وكامل ، وله حضوره الديناميكي (الحركي) .

٤ ـــ يسوع المسيح شخص (بروسوبون) واحد ، أقنوم واحد ، في وحدة حقيقية وليس مجرد ارتباط للطبيعتين ، إذ هو كلمة الله المتجسد .

٥ ـــ كلنا يقبل « تبادل الألقاب والخواص **Communicato idiomatum** » ، فننسب كل أعمال وكلمات المسيح للأقنوم الواحد ، كلمة الله المتجسد .

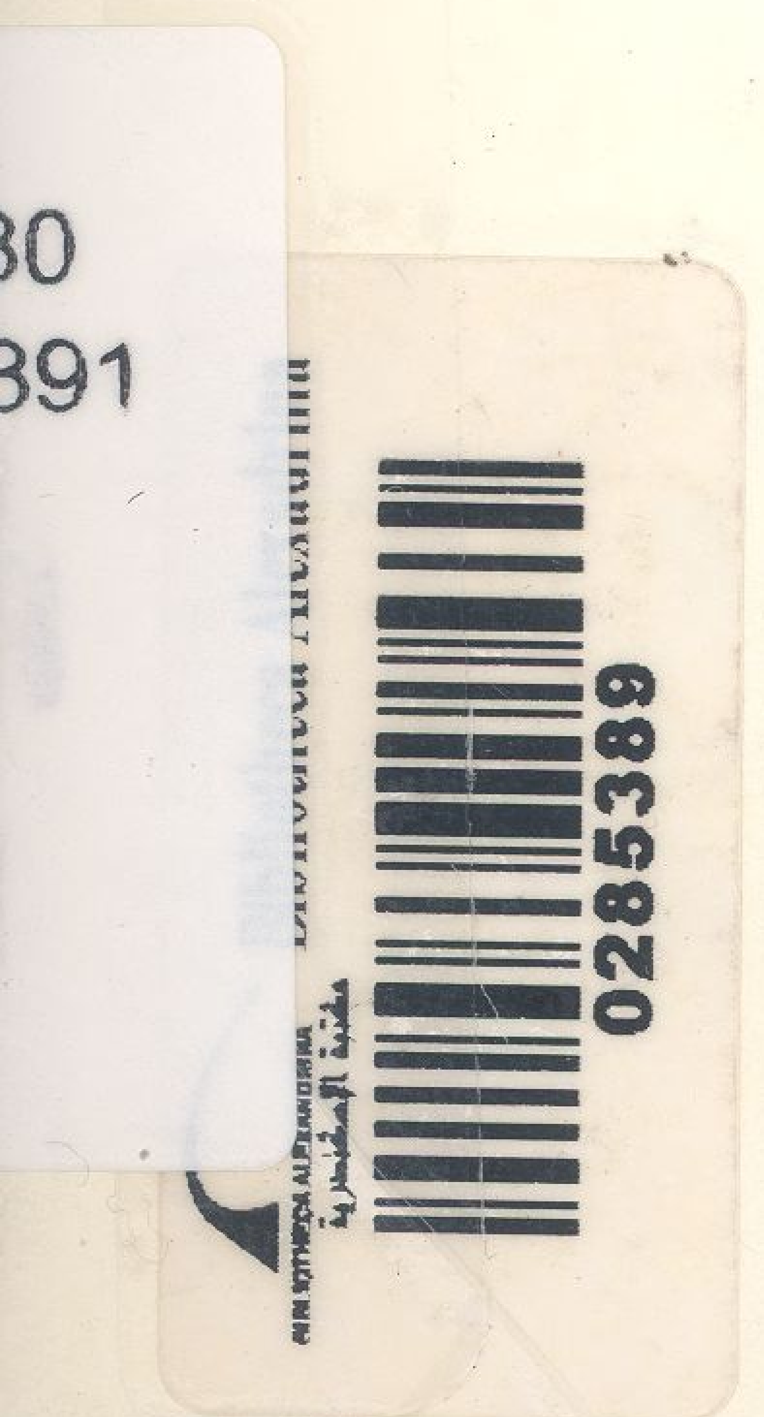
أخيراً بخصوص « طبيعة physis » المسيح فإن غير الخلقيدونيين ليسوا « مونوفيزيت » إذ يعتقدون بالطبيعة الواحدة «من اثنتين» ، أو « طبيعة واحدة متحدة » أو « طبيعة مؤتلفة » أو « طبيعة متجسدة » وليست « طبيعة منفردة » .

يطلب من :

كنيسة مارجرجس اسبورتنج - الإبراهيمية - الأسكندرية .

كنيسة مارمرقس والأنبا بطرس - سيدى بشر - الأسكندرية .

مكتبة مارمرقس بالأنبا رويس .



الثمن ٨٠ قرشاً